صعوبات تعليم البلاغة العربية ..الواقع والمستقبل
طلاب كلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية نموذجًا.
دراسة ميدانية

الدكتور/رجب إبراهيم أحمد عوض
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

تمهيد

في مقدمة كتابه الجليل "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة".يقول الأستاذ الدكتور /سعد مصلوح :" فأما البلاغة العربية فمنذ أن حَد الإمام العظيم أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ) رسومها،وراتب بين علومها أفضت بها الحال إلى مضيق لا تكاد تلتمس لها منه مخرجًا،وحين رأى بعض المجتهدين أن الداء قد أُعضل،والشفاء قد عزَّ،وجدنا من بينهم فريقا قد أخلد إلى الأرض، واستمسك بالحطام والهشيم ،وفريقا نال منه اليأس فراح يدعو إلى قتل المريض وتغييبه تحت أطباق الثرى ،بين عبرات الرحمة، وزفرات الإشفاق "[١].

هذا هو واقع البلاغة العربية كما مثله شيخ العربية في زماننا، وواقع البلاغة العربية واقع مؤلم إذ تنادى أقوام بالاستغناء عنها،والبحث عما يسمونه "البلاغة الجديدة"وهذا الاصطراخ، وهذة الدعوات إنما تكشف عن سوء سيرة،وخبث سريرة.

وهذا القول،لا يخلو من خصيلتين؛جهل بتراث تليد قام عليه قوم أعْلَون هم من أعلم أهل العربية بالعربية،و إما عبودية خاشعة تستزل أتباعها ببعض ما اقترفوا من فتور الحداثة دون اللبوب.

والسؤال الأهم الآن:كيف نُحدِثُ في هذا النفق المظلم فرجةً تنطلق من خلالها البلاغة (التعليمية) من ضيق الظرف التاريخي المحدود إلى سعة العصر،وتجري ينابيعها،متخذة طريقها إلى ثقافتنا المعاصرة، لترجع كما كانت كاشفة عن فاعلية النص العربي؟

وإذا كان هذا هو حال البلاغة العربية عند أهل العربية أنفسهم،فالأمر سيكون أشد تعقيدا عند الناطقين بغيرها..! إذ إن لسانهم لم يعرف طريقه إلى البلاغة،وأذواقهم لم تعتد أساليبها..فهناك وحشة تذوقية بين الطرفين..لاسيما أهل البلاد الإسلامية.

ولعل الدافع الي تعليم وتعلم البلاغة متعدد،لكن الجلي منها يكمن في اثنين :

([١])مصلوح،سعد عبد العزيز،في البلاغة واللسانيات العربية،لجنة التأليف والنشر بجامعة الكويت، الكويت،٢٠٠٣م،ط١،ص٨.

الأول : فني: ففي بادئ الأمر كانت "إرشادا وتعليما للذين يريدون الإصابة في القول، ورسما ومنهجا للخطباء ورجال الفرق المذهبية ودعاة المذاهب السياسية، والذين يتصدرون للكلام أمام الجموع الكثيرة "[1]ومن ثم صارت لتمييز جيد الكلام من رديئه، وإظهار مواطن الحسن في الأدب .

ومن البلاغيين الذين بحثوا في هذا العلم تأدية لهذا الغرض" ابن طباطبا"(ت٣٤٥هـ) الذي ألف كتاب"عيار الشعر "وبحث فيه صناعة الشعر والميزان الذي به تقاس بلاغته ، وقدامة بن جعفر الذي ألف كتاب نقد الشعر.

ثانيا:ديني:

فبعد نزول القرآن الكريم ببلاغته التي بهرت العقول، بدأ العرب بدراسة أسرار هذة البلاغة، بما فيها من براعة في التركيب والتصوير،وسلامة فى الألفاظ وعذوبة وسهولة وجزالة، ليبرهنوا على إعجاز القرآن الكريم وليستوضحوا أحكامه،ويتفهموا معانيه، ومن الكتب التي ألفت في البلاغة تأدية لهذا الغرض:إعجاز القرآن للباقلاني، والنكت في إعجاز القرآن الكريم للرماني، و دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذة الدراسة في أنها تحاول الكشف عن الأسباب الحقيقية لضعف تعلم البلاغة لدى الناطقين بغير العربية، ساعية في إيجاد حلول ومقترحات عملية ناجحة لهذا الضعف.

آملة تحقيق هذا التقدم في تعلم البلاغة العربية من خلال ما ستقدمه من حلول ومفترحات .

مشكلة الدراسة :

تتضح مشكلة الدراسة جلية في ضعف طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الانسانية في تعلم البلاغة العربية خاصة، وفي طلاب ماليزيا عامة.وهذا الضعف مردّه الي مجموعة من الأسباب والإشكاليات، حاولت الدراسة جاهدة الي معالجتها ، ووضع الحلول المناسبة.

أسئلة الدراسة :

حاولت الدراسة معالجة مشكلة تعلم البلاغة العربية لغير الناطقين بطرح عدة أسئلة منها :

- ما الصعوبات التي تعترض الطلاب غير الناطقين بالعربية في تعلم البلاغة ؟
- ما الصعوبات التي تعترض معلمي البلاغة العربية للناطقين بغير العربية ؟

([1]) علي الجمبلاطي-أبو الفتوح التونسي-الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية- الطبعة الثانية.د.ت.ط- دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة – القاهرة- ص ٢٩٠.

– ما الحلول المقترحة للتغلب على تلك المشكلة ؟

أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى محاولة الوقوف على الصعوبات التي تواجه طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الإنسانية بولاية قدح دار الأمان بماليزيا في تعلم البلاغة العربية،خاصة الذين على أعتاب مرحلة التخرج،ولا يستطيعون أن يتذوقوا نصا أدبيا ما،ولا يلتفتون إلى مواطن الجمال في ثناياه.كما يرنو البحث إلى اقتراح وإيجاد برنامج تأهيلي تعليمي للتغلب على تلك الصعوبات.وهناك مجموعة من الأهداف العلمية تحاول الدراسة تحقيقها للوقوف على معالجة موضوع الدراسة:

- الوقوف على أهم الصعوبات والأسباب التي أدت إلى ضعف طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الإنسانية في تعلم البلاغة العربية.
- النظر في وضع حلول شافيه كافيه لمعالجة أسباب هذا الضعف الظاهر لدى هؤلاء الطلاب في تعلم البلاغة العربية.
- وضع البلاغة أولوية من أولويات تدريس اللغة العربية .
- تبنّي كل العلوم العربية التي لها صلة بالبلاغة العربية كالنقد والأدب والدراسات البلاغية في القرآن الكريم.

حدود الدراسة :

اعتمدت الدراسة في حدودها على مجموعة عشوائية من طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الإنسانية في فرقها الأربعة وبلغ عددهم زهاءثمانين طالبا.

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي في الكشف عن أسباب ضعف هؤلاء الطلاب في تعلم البلاغة العربية.

المبحث الأول

بين يدي الفصاحة والبلاغة

بين الفصاحة والبلاغة:

لاريب أن هناك حدًّا فاصلا بين مصطلح الفصاحة والبلاغة طبقا لما حدَّه البلاغيون العرب،ويظهر ذلك من خلال تعريفهم للفصاحة والبلاغة وفق ماجاء في تراثنا، حيث جاء في لسان العرب أن "الفصاحة"البيان،فصُح الرجل فصاحة،فهو فصيح من قوم فصحاء وفِصَاح، وفصح... وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح.نقول:رجل فصيح وكلام فصيح،أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق. وأفصح الرجل القول...وفصُح الرجل وتفصح إذا كان عربياللسان،فازداد فصاحة...وتفاصح:تكلف الفصاحة..والتفصح استعمال الفصاحة،فالفصيح(من الحيوان)كل ناطق، والأعجم كل ما لاينطق..والفصيح في كلام العامة المعرب"[١]

ويتضح من كلام ابن منظور أن الفصاحة تدور في عدد من المعاني، وكلها تعني "الوضوح" والإيضاح. ويناصر ابن الأثير ذلك القول،بقوله:"اللفظ الفصيح هو الظاهر البين"[٢]

وفي موضوع آخر يقول: "إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين ،وأعني بالظاهر البيِّن أن تكون ألفاظة مفهومة لا يحتاج في فهمها إلي استخراج من كتب اللغة...وإنما كانت مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم،فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن"[٣]

وأما الجاحظ فيبيِّن حدود الفصاحة فيقول:"وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره،ومعناه في ظاهر لفظه،وكان الله عز وجل_قد ألبسه من الجلالة وغشَّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه،وتقوى قائله.فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع،بعيدا من الاستكراه، ومنزّها عن الاختلال،مصونا عن التكلف،صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة،ومتى فصلت الكلمة عن هذة الشريطة،ونفذت من قائلها على

---

(١)ابن منظور،لسان العرب،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،٢٠٠٥،ج٤،ص١٥٨.
(٢)ابن الأثير ،المثل الثائر،المكتبة العصرية،صيدا،لبنان،١٩٩٠،ج١،ص٨٠.
(٣) المثل السائر ص ٨١.

هذه الصفة،أصحبها الله من التوفيق،ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يزهل عن فهمها عقول الجهلة"[١]

وبذلك يكون الجاحظ قد أشار إلى شرط في الكلام الحسن وهو الإيجاز والوضوح وشرف المعنى واللفظ،وكذلك البعد عن التكلف والاختلال،ويحدد الجرجاني معنى حسن الكلام بقوله:"ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها... غير وصف الكلام بحسن الدلالة،وتمامها فيما له كانت دلالة تم تبرحها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، و أحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفرمن ميل القلوب...ولاجهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تؤتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له،و أخرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية"[٢]وهذة إشارة الى حسن الدلالة في الكلام يستميل القلوب،وتأنس به الأنفس، ويرتقي بالمعنى إلى أعلى درجات الفصاحة.

أما البلاغة فلها تعاريف عدة، فقد عرفها ابن منظور بأنها الوصول...بلغ الشيء وصل وانتهى.وتبلغ بالشيء وصل إلى مراده...والبلاغة الكفاية"[٣] ويربط بينها وبين الفصاحة فيقول:"والبلاغة الفصاحة ورجل بيلغ :حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه والجمع بلغاء، وقد بلغ بالضم، بلاغة أي صار بليغاً"[٤]

وفي اصطلاح البلاغيين عرفها القزويني(ت٧٣٩هـ)بأنها:"مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".وعرفها الجرجاني(ت٤٧١هـ)بقوله:"البيان هو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير"[٥]

وعرفها الآمدي (ت٣٧٠هـ) بأنها:"إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبه مستعملة سليمة من التكليف،لا تبلغ الهزر الهزر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنفصل نقصاناً يقف دون الحاجة،وذلك كما قال البحتري:

---

(١) الجاحظ،البيان والتبيين،الشركة البنانية للكتاب،١٩٦٨،ص٥٨.
(٢)عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني،دار المعرفة،بيروت،١٩٧٨،ص٣٥.
(٣)ابن منظور،لسان العرب،مادة"بلغ"ج٦،ص١٢٦
(٤) السابق،ج٦ص١١١.
(٥) عبد الفاهر الجرجاني-أسرار البلاغة- ص٩.

وَالشِعرُ لَمحٌ تكفي إشارَتُهُ وَلَيسَ بِالهَذرِ طُوِّلَت خُطَبُه[١]

وقال أيضاً:

وَمَعانٍ لَو فَصَّلَتها القَوافي هَجَّنَت شِعرَ جَروَلٍ وَلَبيدِ

حُزنَ مُستَعمَلَ الكَلامِ اِختِياراً وَتَجَنَّبنَ ظُلمَةَ التَعقيدِ

وَرَكِبنَ اللَفظَ القَريبَ فَأَدرَكَ نَ بِهِ غايَةَ المُرادِ البَعيدِ[٢]

فإن اتفق مع هذا معنى لطيف،أو حكمة غريبة،أو أدب حسن،فذلك زائد في بهاء الكلام،وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه"[٣] أما ابن القفع فعرفها بقوله :"البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سمعاً وخطباً،ومنها ما يكون رسائل،فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها،والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"[٤]

وأما السكاكي(ت.٦٢٦هـ)فيُعرف البلاغة بقوله:"هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه المجاز والكناية على وجهها[٥]

ويحدُّ ابن الأثير حداً بين الفصاحة والبلاغة بقوله" إن الكلام الفصيح هو الكلام الظاهر البيِّن،و أعني بالظاهر البيِّن أن تكون ألفاظه مفهومة بحيث لا يحتاج أحد في فهمها إلى كتاب لغة، بينما البلاغة شاملة الألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة،كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان إنسان، والبلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى معاً بشرط التركيب، لأن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، بينما يطلق عليها اسم الفصاحة،إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن، وأما وصف البلاغة فلا يوجد في اللفظة الواحدة لخلوها من المعنى الذي ينتظم كلاماً.

---

(١)البحتري،ديوان شعر،عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي،دار المعارف بمصر،ط١،٣/٢٠٩.

(٢)السابق٦٣٧/٦٣٨.

(٣)بدوي طبانة،علم البيان،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.ص٦.

(٤) شوقي ضيف، البلاغة تطور تاريخ،دار المعارف،القاهرة،ط٩،ص٢٠.

(٥)السكاكي،مفتاح العلوم،الطبعة الأولى،دار الكتب العالمية،بيروت عام ١٤٠٣،ص٤١٥.

ويضرب ابن الأثير مثلاً على ما يقول،قوله تعالى:**(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا)**[1]

فإن كل كلمة من هذه الآية الكريمة بمفردها فصيحة، لأنها معلومة المعنى،بينما البلاغة هي في اجتماع هذه المعاني الفصيحة بصورتها البلاغية".[2]

ومن خلال ما تقدم من تعاريف نلمح أنها جميعاً تقوم على أساسي اللفظ والمعنى، فأغلب التعاريف تؤكد أن البلاغة هي إيصال المعنى المراد إلى قلب السامع مع التعبير عنه بأسلوب جميل باستثناء تعريفي القزويني وابن المقفع، حيث رأى ابن المقفع أن البلاغة هي الإيجاز.

كما نلاحظ أيضاً أن بلاغة اللغة المكتوبة، والمقروءة والمسموعة، ليست علماً قائماً بذاته،وإنما هي حلية يتوج بها الكلام،من خلال استعمال اللفظ فيما وضع له، في حال ما يعرف بالبيان والبديع، أو تنقية وتنقيح الكلام أو زنته قبل النطق به أو كتابته، ليطابق مقتضى الحال في علم المعاني، ومن ثم نجد أن الأمثلة التي أتى بها المهتمون بالبلاغة_دراسة وتأليفا_ كلها من القرآن الكريم، ومن النصوص الشعرية والنثرية قديمها وحديثها، فالدارسون الذين لم يطَّلعوا على التراث اللغوي، وما به من صور وأخيلة و أساليب مكسوَّة بلآلئ تشرئب لها العقول والقلوب، لا يستطيعون إدراك ما يرمى إليه المتحدث أو الكاتب من معنى أو مغزى.

فليست البلاغة إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري،ودقة إدراك الجمال،وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب،وليس هناك فرق بين البليغ والرسّام إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام،وذلك يشاكل بين المرئي من الألوان والأشكال،أما في غير ذلك فهما سواء،فالرسام إذا همَّ برسم صورة،فكَّر في الألوان الملائمة لها،ثم في تأليف هذه الألوان،بحيث تجتلب الأبصار،وتثير الوجدان.والبليغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة

---

(1) الأعراف (٥١).

(2) عرفات مطرجي،الجامع لفنون اللغة العربية والعروض،الطبعة الأولى،مؤسسة الكتب الثقافية بيروت،١٤٠١.

أو خطبة،فكَّر في أجزائها ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها عن السمع وأكثرها اتصالا بموضوعه،ثم أقواها أثرا في نفوس سامعيه وأروعها جمالا.[١]

فالبلاغة تمكن الإنسان من استعمال اللغة استعمالا سليما في نقل أفكاره ومشاعره،وتيسر له التعبير عنها ونقلها إلى الآخرين،وتنمي لديه القدرة على فهم الأفكار والتذوق الأدبي للأعمال الأدبية،وإدراك مواطن الجمال فيها.كما تمكنه من نقدها والمفاضلة بينها والتمييز بين الجيد والرد منها،كما تساهم في تنمية الخيال الأدبي،وتسمو بالعواطف وترقق الوجدان،وتساعد في الوقوف على ما في الأدب من روائع الكلام ومآثر الآداب.

ولا يخفى ما للبلاغة من أهمية كبيرة،خيث تسهم في تكوين الذوق الأدبي وتنميته،وتشكل الجانب الموضوعي في عملية النقد،كما أنها تمكن صاحبها من معرفة أسرار الإعجاز البلاغي في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة،ولها دور عظيم في الإسهام في تقوية الجانب الإيماني لديهم،وصقل قدراتهم اللغوية والبلاغية،إضافة إلى ذلك القدرة على استيعاب المعاني والأفكار التي تشتمل عليها الأعمال الأدبية،وإدراك المرامي والأغراض الكامنة وراء الدلالات المباشرة للألفاظ والعبارات التي تتشكل منها النصوص الأدبية..وهي في جانب آخر تعمل على تكوين رأي نقدي لدى صاحبها تمكنه من تقويم النصوص الشعرية ونقدها،وينمو لديه خيال أدبي زاخر بالصور والأخيلة.

ويشترط في البليغ أن يكون صاحب موهبة،وذهن ثاقب،ويتجلى ذلك من خلال تفكيره في المعاني التي تجول في نفسه وخاطره،بشرط أن تكون صادقة قوية نابعة من صميم قلبه،ويضفي عليها ذوقه السليم في التنسيق تحسن ترتيب وتأليف،فإذا تحقق له ذلك يصبح بمقدوره انتقاء أحسن الألفاظ وأروع العبارات مع قدرته على التعبير بأسلوب واضح وجميل،له أثر على السامع،كما لا يخفى على البليغ أن تكون له ثروة لغوية وثقافة نحوية،والمسألة باختصار هي "بلاغة المتكلم هي ملكة راسخة في النفسيقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ في أي معنى يريده"[٢]

---

(١) الجارم وأمين،١٩٥١ البلاغة الواضحة،دار المعارف،القاهرة،ص ٨-٩.

(٢)عبده عبد العزيز قلقيلة،البلاغة الاصطلاحية،دار الفكر العربي،مصر،ط٣،١٩٩٢م،ص٣٠-٣١.

وقد أقر ذلك بعض من كتبوا في تدريس البلاغة للناطقين بالعربية، يقول صاحب كتاب"اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية" إن تدريس البلاغة ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو وسيلة لغاية أسمى، هي تربية ملكة الذوق لدى الطلاب وتنميتها وتطويرها، لتعينهم على تذوق الأدب والاستمتاع به وتمييز غثه من ثمينه، وتوسيع أفقهم الفني وخيالهم الأدبي، فيستشعروا الجمال، ويدركزا مواطن الإبداع ....[١].

ويمكن القول إن البلاغة تقوم على أساس اللفظ والمعنى معا،وتأليف الألفاظ تأليفا يمنحها قوة وتأثيرا،ثم بجانب ذلك دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام وموضوعاته،وحال السامعين، ونفسياتهم المهيمنة عليهم.فالبلاغة هي طريق المتكلم إلى أعماق السامع وتفسه.

(١) عمار سام،اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية،بيروت، مؤسسة الرسالة٢٠٠٢،ص٢١٩.

المبحث الثاني

نشأة علم البلاغة ومراحل تطوره:

ليس هناك علم من العلوم برز إلى الحياة مكتمل الأصول، وإنما يبدأ بلبنة أو لبنات، ثم تتكاثر هذهاللبنات، وتتطور بجهود المشتغلين بذلك العلم.(١)

وما يصدق على العلوم يصدق على البلاغة حيث، إنها مرت بعدة مراحل حتى صارت علما له قواعد وأصول وهذه المراحل هي:

أولا:المراحل:

١-مرحلة النشأة :

امتدت هذه المرحلة من العصر الجاهلي حتى بداية القرن الثاني الهجري، حيث اتسمت البلاغة فيها بالاعتماد على الطبع والسليقة تارة،وعلى الدّربة والتثقيف تارة أخرى،فالعرب بطبعهم الأصيل وفطرتهم السليمة اشتهروا منذ العصر الجاهلي بالفصاحة والبلاغة والتمتع بسلامة الذوق في معالجة الكلام من اختيار للألفاظ، واجتلاب للمعاني، والملائمة بين اللفظ والمعنى،وحسن التركيب وإجادة التصوير ،كما اشتهروا بالبعد عن فضول القول،والحشو، والإسهاب.(٢)

وإذا انتقلنا من العصر الجاهليإلى عصر صدر الإسلام فلن نجد اختلافا كبيرا بين بلاغة هذا العصر وذاك، فقد كان العرب في صدر الإسلاميوفون اللفظ والمعنى حقّهما، ويصلون إلى الغرض في إيجاز أو إطناب أو مساواة على حسب ما يقتضيه المقام،كما كان العرب لا يحفلون بالسجع إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام.(٣)

،وكان لنزول القرآن الكريم أثر بعيد المدى في رقيِّ البلاغة،فهو أبلغ كتاب في أغراض اللغة العربية ومعــانيها وألفاظها وأساليبها.(٤)

---

(١)شفيع السيد،البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي،القاهرة،مصر، ط٢،١٩٩٦م.ص: ٧.
(٢)عبد القادر حسين،فن البلاغة،ص: ٨ .
(٣)عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي،دارنهضة،القاهرة ، مصر ،دت،دط، ص: ١٢.
(٤)عائشة حسين فريد،منهج البحث البلاغي،دار قباء ، القاهرة،مصر،ط١،١٩٩٧م،ص: ٧١.

أما في العصر الأموي نجد التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة ، من الذين لهم باع في في تفسير القرآن الكريم ، فتكلّ موا فيه ، ووضّ حوا كثيرا مما خفي من معانيه ، وما حواه نظمه من أسرار ولطائف ، وكان لازدهار الأدب في هذا العصر أثر واضح في كثرة الملاحظات البيانية، ونضجها ،وعمقها ،وانتقالها من طور إلى طور ، ووضوح الكثير من أسرار التراكيب ، ووسائل جودة الأدب، وروعته ،والتيعُ دّ ت مقاييس وأصولاً لعلم البلاغة فيما بعد.[١]

٢- :مرحلة النمو:

في العصر العباسي اتسعت الملاحظات البلاغية لأسباب مختلفة،منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر بتطور الحياة العقلية والحضارية، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلّمين،عُنيت إحداهما باللغة والشعر من أمثال ابن المقفع(ت١٤٥هـ) ،والوزير جعفر بن يحيى البرمكي(ت١٨٧هـ) ،والشاعر بشار بن برد(ت١٦٨هـ)،فلقد أكثر هؤلاء الكتاب والشعراء من ملاحظاتهم البلاغية، وعنيت الطائفة الأخرى وهم المتكلمون بالخطابة والمناظرة ،وإحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته ، فقد عُ نوا بمسائل البيان والبلاغة من أمثال الحسن البصري(ت١١٠هـ)،وواصل بن عطاء(ت١٣١هـ) وعمرو بين عبيد(ت١٤٣هـ).[٢]

وقد أخذ النقاد والأدباء والكتّاب يحاولون فهم أسرار بلاغة الكلام، ووضع أصول موجزة تحدد آراءهم في جمال الأسلوب،منذ أوّل العصر العباسي، وفي مقدمة هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري(٢٠٩هـ)، الذي اتخذ تفسير القرآن طريقا إلى كشف الظواهر البلاغية، فقد سأله سائل في مجلس الفضل بن الربيع(٢٠٨هـ) والي البصرة عن قو له تعالى ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾(سورة الصافات:آية ٦٥) (حيث قال السائل: إنما يقع الوعد والإيعادبما قد عُرف مثلُه،وهذا لم يُعرف، فأجاب أبو عبيدة : إنما كلّم الله العرب على قدر كلامهم،أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي... ومسنونة زرق كأنياب أغوال[٣]

---

(١)فوزي عبد ربه عيد،المقاييس البلاغية،دار الثقافة، القاهرة ،مصر،دط،١٩٨٣م ، ص: ٧٧-٩٧.
(٢)شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص: ٢١-٢٢-٢٣-٣٣.
(٣)امرؤ القيس،ديوانه،ت مصطفى عبد الشافي ،دار الكتب العلمية،لبنانط٢٠٠٤،،٥م، ص:١٢٥.

وهم لم يروا الغول قط،ولكنّه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدُوا به، فاستحسن الوالي والسائل قوله، فوضع أبو عبيدة كتابه "مجاز القرآن"في البصرة[١]،وقد ذكر في كتابه السابق الكثير من الآيات القرآنية، وحلل بلاغتها ،ومن الذين شاركوه هذا العبء أبو عمر عثمان بن بحر الجاحظ الذي جمع في كتابه "البيان والتبيين" الكثير من بلاغات العرب ، وأبو العباس عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي الذي ذكر في كتابه "البديع" ثمانية عشر لوناً بلاغياً ، وابن سلام الجمحي(٢٣٢هـ) صاحب كتاب "طبقات الشعراء" وقدامه بن جعفر(٣٣٧هـ)صاحب كتابي "نقد النثر" و"نقد الشعر" ، ثم أبو هلال العسكري صاحب كتاب "الصناعتين" ،و أبو بكر الباقلاني(٤٠٢هـ) صاحب كتاب "إعجاز القرآن" ، وسواه

٣-مرحلة الازدهار:

تجمع الدراسات البلاغية العربية على أنازدهار البلاغة كان على يد عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)والزمخشري(ت٥٣٨هـ)، فقد وضع عبد القاهر نظريتي علمي المعانيوالبيان وضعاً دقيقاً، في كتابيه "دلائلالإعجاز" و"أسرار البلاغة[٢]،وأول من وضع مناهج بحوث علم البلاغة العربية على وجه التحقيق[٣].

ثم أتى الزمخشر ي بعد ذلك مطبقا لآراء عبد القاهر البلاغية في تفسير آي القرآن الكريم في كتابه "الكشاف،بل جاء بآرائه البلاغية.

٤:مرحلة التعقيد والجمود:

تبدأ هذه المرحلة بمجيء أبي يعقوب السكاكي(ت٦٢٦ (في أواخر القرن السادس الهجري ، إلى قبيل النهضة الحاضرة ، وهو عصر شاعت فيه العجمة، إلا عند بقية من العلماء ،فتعثرت البلاغة والتوت بهاالسبل.[٤]

([١])ابنخلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسانعباس،دارصادر،بيوت،لبنان ،١٩٧٧:، ٢٣٦/٥.

([٢])البلاغة تطور وتاريخ ،شوقيضيف ، ص ١٦٠.

([٣])الخطيب القزوينى، الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق محمدعبد المنعم خفاجي،دار الكتاب اللبناني، بيروت١٩٧٥،ط٤، ١٠/١.

([٤])محمد نايل أحمد،البلاغة بين عهدين،دار الفكر العربى،، القاهرة،مصر، ١٩٩٤م ،د ط، ص: ٢١-٢٢.

فاتسمت البلاغة في هذه المرحلة بالتلخيص تارة،وبالشرح تارة أخرى دون إضافة إلى البلاغة،حيث نجد العديد من المؤلفاتلخّصت كتب سابقة مثل"نهاية الإيجاز" للفخر الرازي(ت٦٠٦هـ)،و"المثل السائر" لابن الأثير(ت٦٣٧هـ) و"المفتاح "للسكاكي " و "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، بينما نجد في الجانب الآخر العديد من الكتب التي شرحت كتباً سابقة أمثال كتاب "الإيضاح" للخطيب القزويني وكتاب "الأطول" لعصام الدين الإسفراييني(ت٩٥١هـ) وكتاب "المطول" لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ).[١]

فالبلاغيون بعد عبدالقاهر والزمخشر ي لم يأتو ا بجديد في مباحثهم البلاغية، فهم قلما أضافوا جديدا إلاتعقيدات شتىّ ممن قر ؤ وه في الفلسفة والمنطق، وبذلك تحجرت قواعد البلاغة وتجمدت.[٢]

٥:مرحلة النهضة والبعث:

استمرت مرحلة التعقيد والجمود إلى بداية النهضة، فلما كانت النهضة الأدبية الحديثة، وأشرقت في الشرق شمس العلوم والفنون مرة أخرى،وانتبه محمد عبده(ت١٩٠٥م) إلى كتب عبد القاهر، فابتعثها من مرقدها،ونشر دررها في جدران الأزهر، فكان ذلك إيذانا بإقبال عهد جديد للبلاغة العربية.[٣]

ثانيا:مدارس علم البلاغة:

أثرت في البلاغة العربية ثلاث مدارس هي:

١- المدرسة الكلامية:

أثرت الفلسفة بمنطقها وكلامها في البلاغة العربية ،ذلك أن المتكلمين وضعوا المصطلحات، وأمدوا بها البلاغة أثناء نموها وتكوينها،ووضع أسسها وتدعيمها،وجعلها نشاطا خاصا قائما بذاته،وأسهموا في ظهور الفنون البلاغية بالبحث في الإعجاز بتمثّلالمنطق،والاعتماد عليه في الأبحاث الاعتقادية،والنزوع إلى الجدل الحجاجي،فإننا نجد الحس الفلسفي في

(١)الخطيب القزوينى،لإيضاح فىعلوم البلاغة،ص١١،١٠.
(٢)شوقيضيف،البلاغة تطوروتاريخ.ص٢٧٣،٢٧٢.
(٣)محمدنايل أحمد ،البلاغة بينعهدين.ص٢٢.

البيان،والكلام على الأسباب والمسببات في المجاز المرسل،والكلام على الفاعل الحقيقي،والفاعل المجازي في علم المعاني،فاهتمت المدرسة الكلامية بالتحديد الدقيق،والتقسيم العقلي،وجعلت التعريف جامعا مانعا،والإكثار من الألفاظ الفلسفية والمنطقية،وأدخلت بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والإلهية والخلقية،كالكلام في الألوان والطعوم والروائح والحواس الإنسانية ومقرها،والوهم والخيال والمفكرة والحس المشترك وغيرها.(١)

وازداد تأثير المنطق في البلاغة قوة عند المتأخرين، فالسكاكي(ت٦٢٦هـ) مثلا حين ألف كتابه "مفتاح العلوم"، أردف علوم البلاغة بالبحث المنطقي في الحد والاستدلال ،وعلل ذلك بأن "تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"(٢)، فقد جعل معرفة المنطق ضرورية لمن يتعاطى البلاغة، فهو عنده عمادها الذي تقوم عليه، ومن ثم تكلم على البلاغة والمنطق في كتاب واحد.

وتتميز هذه المدرسة بالجدل والمناقشة والتحديد اللفظي، والعناية بالتعريف الدقيق الصحيح، والحرص على القواعد المحددة مع الإقلال من الشواهد الأدبية، والاعتماد على المقاييس الفلسفية والقواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه ورداءته دون نظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق،و قد شاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية التي قطنها خليطٌ من الفرس والترك والتتار، وكانت "خوارزم" أكبر المناطق التي ظهر فيها أقطاب هذه المدرسة،كـ"الزمخشري"و"الرازي"و"أبيالفتح المطرزي(ت٦١٠هـ) " و"السكاكي" و"سعد الدين التفتازاني" ،أما أهمّ كتب هذه المدرسة فهي (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر؛إذ يتحدث قدامة عن المديح،فينظر إلى مذهب أفلاطون في أصول الفضائل الأربع وأمهاتها التي هي العقل،والشجاعة، والعدل،والعفة، ويرى أن القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال مصيب،والقاصد إلى مدحهم بغيرها مخطئ(٣)،

(١)أحمدمطلوب،كاملحسن البصري ،البلاغة والتطبيق،وزارة التعليم العالى والبحث العلمي،العراق، ١٩٩٩م،ط٢،ص ٣٠، ٣١.

(٢)السكاكي،مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٨٧م،ط٢،ص٤٣٢.

(٣)قدامةبنجعفر،نقد الشعر،ت عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،دت ،د ط،ص ٩٦.

ويقول أيضا: "إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم.[١]

ومن الكتب(البر هان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب(ت٣٣٥هـ)، و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني ،و"نهاية الإيجاز) للرازي ،و(مفتاح العلوم) للسكاكي،و(تلخيص المفتاح)و(الإيضاح)للخطيب القزويني.[٢]

إنّ هذا التأثير القوي لتلك المداخل المنطقية وشروطها وأقسامها الوضعية، والعقلية، أدّى إلى ظهور مدرستين في البحث البلاغي،نصَّ عليهما أبو هلال العسكري بقوله:"وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهبالمتكلمين،وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب،فلهذا لم أطل الكلام في هذاالفصل.[٣]فالعسكري يذكر مدرستين في البحث البلاغي هما: المدرسة الكلامية، والمدرسة الأدبية،التي يسميها "صنّاع الكلام".

وقد أدى انفصال البلاغة عن النقد تحت تأثير الفلسفة،وما يدخل تحتها من منطق وكلام إلى ظهور المنهج التقريري ،في مقابل المنهج الفني التأثّري، ويتميز المنهج الأول بأنه منهج عقلي علمي،يقوم على التّعاريف والتقاسيم، ويصدر عن آراء سابقة في موضوعات الأدب ومعانيه،ويحاول أن يخضع لها الشعراء والكتاب، مما جعل بعضهم يمقت هذا النوع من التحكم في الإبداع.

٢-المدرسة الأدبية:

ظهرت هذه المدرسة نتيجة عوامل أهمها القرآن الكريم الذي طبع البلاغة بطابع أدبي،وتجلى ذلك في الشواهد الكثيرة التي اقتبسها البلاغيون من كتاب االله تعالى،وكان الكتاب قد سبغوا البلاغة بصبغة أدبية،لما امتازوا به من أدب جم وذوق سليم،ولعب الشعراء دورا مهمّا في البلاغة أيضا،كما فعل عبد االله ابن المعتز،وتستعمل المدرسة المقاييس الفنية في الحكم على الأدب المتمثلة في الذوق،فابن الأثير يرى أن مدار علم البيان يعتمد على الذوق

(١)السابق ص٦٢.
(٢)أحمد مطلوب،البلاغة والتطبيق،ص٣١، ٣٢.
(٣) أبو هلال العسكري،الصناعتين،ص٩.

السليم،والدربة التي هي كثرة المدارسة والخبرة في قراءة فنون الأدب،وقد كان ابن شيث القرشي(٥٨٩هـ) يقرن الكتابة بالبلاغة.[١]

وقد أسرف أتباع المدرسة الأدبية في ذكر الشواهد والأمثلة،والإقلالمن البحث في التّعاريف والقواعد والأقسام،و هي تعتمد استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الأدب ،و على الذوق الفني الرفيع وحاسة الجمال،أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النظر المنطقي،و سادت هذه المدرسة في المناطق الوسطى في العالم الإسلامي، مثل العراق والشام والمنطقة الغربية في شمال إفريقيا،أما أهم الكتب التي تضمنت آثارها فهي: كتاب البديع" لابن المعتز"وكتاب"الصناعتين " للعسكري،وكتاب"العمدة"لابن رشيق،وكتاب"سر الفصاحة" لابنسنان الخفاجي، وكتاب "أسرار البلاغة" للجرجاني،وكتاب"البديع في نقد الشعر"لابن منقذ،وكتاب"المثل السائر"،وكتاب"الجامع الكبير"لابن الأثير،وكتاب" تحرير التحبير" لابن أبي الإصبع،وتُعني هذه المدرسة بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيد من الكلام،وتربية الذوق النقدي،وعندما تخوض في مسألة الإعجاز تخوض فيها خوضا أدبيا غالبا،و قد اقتصد عبد الله بن المعتز –في كتاب "البديع"–في التّعاريف وساق للفن الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم،والحديث الشريف،وكلام الصحابة،والشعر القديم والمحدث،كما أن عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة"تكلّم عن أساليب البيان،وقارن بينها،وذكر لها من الشواهد مصحوبة بتحليل جمالي دقيق يزخر بكثير من الإشراقات الأسلوبية، أماابن الأثير في كتابه "المثل السائر" فقد سار فيه على طريقة الأدباء في ذكر الشواهد و تحليلها اعتمادا على الذوق الفني.[٢]

وبالرجوع إلى تاريخ البلاغة واستعراض ما كتب فيها إلى عصرنا الحاضر، نجد أن المدرسة الكلامية الفلسفية غلبت على البحث البلاغي؛بسبب ماعمد إليه السكاكي من وضع الحدود والأقسام المتشعبة، بعد أن أخلى علمي المعاني والبيان من تحليلاتهما الممتعة البارعة للنصوص الأدبية،وبعد أن سوى قواعدهما تسوية منطقية عويصة،حتى ليصبح

([١])سلامة جمعةالعجالين،اتجاهات البلاغةفى القرنين السادس والسابع الهجريين(رسالة دكتوراه) ،جامعة مؤتة،الأردن،٢٠٠٨م،ص ٨١، ٨٢.

([٢])أحمد مطلوب،البلاغة والتطبيق،ص٣١، ٣٢.

المنطق،وأيضاً الفلسفة جزءاً منهما لا يتجزأ،وكان ذلك كله إيذاناً بتحجر البلاغة وجمودها جموداً شديداً،إذ ترسبت في قواعد وقوالب جافة، وغدا من العسير أن تعود إليها حيويتها ونضرتها القديمة[١]،وبذلك انفصلت البلاغة عن النقد واعتمدت المنهج العقلي التقريري، وأصبحت تعليمية معيارية ترمي بقواعدها وتقنيناتها إلى خنق الإبداع، وهو أمر له ضرره الواضح على الأدب.

٣-المدرسةالأدبيةالكلامية:

هنالك اتجاه يمزج بين خصائص الكلاميين من البلغاء،و بين أولئك الأدباء،و يظهر هذا في كتابي عبد القاهر الجرجاني"دلائل الإعجاز"و "أسرار البلاغة"؛ففيه يظهر عبد القاهر بليغا أديبا،يعتمد على الحاسة الفنية وتمكين الذوق الأدبي،يقوم بالتحليل الأدبي التفصيلي،و يبتعد عن الأسلوب المنطقي الاستدلالي.[٢]

ثالثا:أقسام علم البلاغة العربية:

يقسم العلماء البلاغة ثلاثة أقسام :علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

١-علم المعاني: تعريفه ومراحل نشأته.

من تعريفات العلماء لعلم المعاني وكلها ذات معنى متقارب،فيعرفه القزويني بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[٣].ويعرفه الميداني بقوله: "هو علم يعرف به أحوال الكلام العربي التيتهدي العالمبها إلى اختيار ما يطابق منهامقتضى أحوال المخاطبين،رجاء أن يكون ما ينشئ من كلام أدبي بليغا."[٤]

علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له[٥]،فهو العلم الذي يبحث في تراكيب الكلام

---

(١)السابق ص٣١٣.

(٢)عبد القاهر الجرجانى،أسرار البلاغة، ت محمود محمد شاكر،دار المدنى،جدة،المملكة العربية السعودية،ص٣٣٨.

(٣)الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة،ص١٥.

(٤)عبدالرحمن الميداني،البلاغة العربية،أسسها وعلومها وفنوا،، دار القلم،دمشق،سوريا،١٩٩٦م،ط١،١٣٨/١.

(٥)احمد الهاشمى ، جواهر البلاغة فى علم المعاني والبيان والبديع ،دار إحياء التراث العربى،بيروت ،لبنان،دت،ط١٢،ص٤٦.

وأساليبه، واختيار الأسلوب الذي يناسب المقام، ويعطي صورة مطابقة لما في النفس، ففي علم المعاني يراعى أمران اثنان هما: المعنى المراد التحدث عنه، ثم اللفظ الذي يعبرّ به عن هذا المعنى، فإذا اختلف المعنى اختلف اللفظ.

فعلمَ المعاني هو"علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال،أي هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ، مثل التعريف والتنكير،والذِّكروالحذف،والإظهاروالإضمار، وغير ذلك،ويتبينكيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس،ولم تأتِ زائدة ثقيلة،ولا متكلفة كريهة، وهذه الأحوالهي التي نسمّ يها الخصائص،أو الكيفيات،أو الهيئات.(١)

فكل أسلوب من هذه الأساليب له غرض بلاغي يوصل إليه، يتوافق مع حال المخاطَب، والمعنى الذي يريد المتكلم التعبير عنه،فمقام الحذف مثلاً يختلف عن مقام الذكر،وهذه المسائل التي يبحثها علم المعاني هي التي درسها عبد القاهر الجرجاني،وبسط فيها القول في كتابه"دلائل الإعجاز"قاصداً شرح نظرية النظم،لأنه رأى أن علم المعاني امتداداً وتطبيقاً عملياً لنظرية النظم،فعرّف النظم فيها بقوله: "و اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ،وتعرف مناهجه التينهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".(٢)وقد ربط عبد القاهر بين المعنى والنحو بقوله:"وإن أردت مثالا فخذ بيت بشار بن برد:

كأنَّ مثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسِهم... وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه(٣)

وانظرْ هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذا الكلم بباله أفرادًا عارية من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكون قد وقع (كأن) في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء، وأن يكون فكر في (مثار النقع) من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني، وفكر في (فوق رؤوسنا) من غير أن يكون قد أراد أن يضيف (فوق)، إلى

(١)محمد أبو موسى، خصائص التراكيب)دراسة تحليلية سائلعلمالمعاني،مكتبة وهبة القاهرة،مصر،١٩٩٦م،ط٤،ص٧٥.

(٢)القاهر الفرجانى،دلائل الإعجاز،ت محمد ورضوان الداية ،دار الفكر، دمشق، سوريا٢٠٠٧م،ط١:ص ١٢٢.

(٣) ديوانه ص٣٣٥.

(الرؤوس)، وفي (الأسياف) من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على (مثار)،وفي (الواو) من دون أن يكون أراد العطف بها،وأن يكون كذلك فكر في (الليل) من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرًا (لكأن)، وفي(تهاوى كواكبه) من دون أن يكون أراد أن يجعل(تهاوى) فعلاً للكواكب، ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي أراد من التشبيه؟ أم لم يخطر هذه الأشياء بباله إلا مرادًا فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها؟"[١]

لقد حمل علم المعاني اسمَ (النظم) في بداية نشأته، وانتهى باسم(علم المعاني)،فالأول يصور مجال الكلام المنظوم المترابط،والثاني يصور الكشف عن المعانيوالأسرار التي تحملها النصوص،والتي يريد المتكلم أن يعبرعنها،فعلم المعاني علمٌ جليل، ومقامه مقامُ عظيم،من تقديمٍوتأخير ،وحذفٍ وذكرٍ ،وإيجازٍوإطنابٍ،ووصلٍ وفصلٍ،وقصر ،وخبر وإنشاء،كلُّ ذلك متزامنٌ مع ظروف إنتاج ذلك الكلام،وسياق المقام، الذي تعارف عليه أهل هذه الصنعة باسم مقتضى الحال فتميُّز القول، وبلاغة الكلام، وروعة البيان راجعةٌ إليه ابتداءً ، أمَّا علمالبيان،والبديع، فهما كالوشي على أصل الثوب،حيث لا يمكن تصورُ وشيٍ من غير ثوب، فالثوب هو علم المعاني.[٢]

٢-علم البيان تعريفه ونشأته وأهميته:

وردت لفظة (البيان) في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ هذا بيان للناس وموعظة للمتقين﴾سورة آل عمران١٣٨ ،وقد اختلف في تفسيرها،فقيل:"إن البيان في هذه الآية الكريمة يعني "القرآن"[٣]،أما الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) فيقول: "البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع،فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطببها ممن نزل القرآن بلسانه،متقاربة الاستواء ،وإن كان بعضها أشد تأكيدبيان من بعض، ومختلفة عند من يجهل لسان العرب"[٤].أما قوله تعالى:﴿ الرحمن.علّم القرآن .خلق الإنسان .علّمه

---

(١)عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص٣٨٩.

(٢) أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص٥٣،٤٦.

(٣)القرطبي،أبوعبد الله محمدالقرطبي،ت التركي وعرقسوسي،الجامع لأحكام القرآن.مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،٢٠٠٦م،ط١،٣٣٣/٥.

(٤) الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي،الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر ،مطبعة مصطفى الحلبي وشركائه، مصر ،د.ت، ط١،ص٢١.

البيان﴾ (الرحمن: ١ –٤، (فقد اختلف المفسرون في تحديد مدلول (البيان) في هذه الآيات الكريمات،فقيل:إنّه أسماء كلّ شيء، وقيل اللغاتكلّها،وقيل:بيان الحلال والحرام،والهدى والضلالة،وقيل:الكلام والفهم،وقيل: لسان كلّ قوم الذي يتكلمون به،وقيل:الكتابة والخط والقلم[١].ويذهب الزمخشري(٥٣٨هـ) إلى أنّ "البيان" هنا،ما يميّز الإنسان عن سائر الحيوان،وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير.[٢]

إنّ كلمة "البيان" تدل على الملكة التي خلق الله تعالى عليها الإنسان،كائنا قادرا على التعبير عما في نفسه،والتأثير في من حوله من بني جنسه.

أما "البيان" لغة فهو الظهور والوضوح والكشف،فقد جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ البيان " من بانالشيء وأبان،إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان،أي: أوضح منه كلاما[٣].وفي لسان العرب"بان الشيء بيانا اتضح، فهو بينّ،وأبنته أنا،أي وضّحته،واستبان الشيء ظهر،واستبنتهأنا عرفته،والتبيينالإيضاح"[٤].والبينّ من الرجال،الفصيح،وقال بعضهم:رجل بيّنوجهير إذا كان بيّن المنطق وجهير المنطق[٥].

وعندما بدأت حركة الجمع والتأليف في مختلف العلوم اعتنى الباحثون بتدارس كلمة (البيان)،وتحديد مدلولها، وتفصيل أدواتها،وأول من دوّن كلمة"البيان"واستعملها هو الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)إذ جعلها عنوانا لأحد كتبه وهو" البيان والتبيين"،وتحدث عنحدود البلاغة،وبث أقسام البيان والفصاحة في تضاعيف هذا الكتاب،ونشرها في أثنائه[٦].وقد ذكر الجاحظ:قلت لجعفر بن يحيى:ما البيان؟فقال:" أن يكون الاسم يحيط بمعناك،ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة،ولا تستعين عليه بالفكرة،والذي لا بد له منه،أن يكون سليما من

(١) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ١٧ص: ١٣٨.
(٢)الزمخشري،الكشاف،ت خليل محمود شيحا،دار المعرفة ،٢٠٠٩م، ط٣ ،ص:١٠٦٩.
(٣) ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،ت عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة والنشر، ص:٣٢٨ مادة (بين).
(٤)ابن منظور،لسان العرب،المج١٣،ص٦٧-٦٨ ،مادة"بين".
(٥)الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين،ت عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،،٢٠٠٣م، ط١ ص:١٧٦.
(٦)الجاحظ،البيان والتبيين،ت عبد السلام هارون،ج١ -٢.

التكلّف،بعيدا عن الصنعة، بريئا من التعقد،غنيا عن التأويل ... وهذا هو تأويل قول الأصمعي:"البليغ من طبق المفصل،وأغناك عن المفسر.[١]

وقد عرّف الجاحظ "البيان" بأنّه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"[٢]،أو هو" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى،وهتك الحجاب دون الضمير،حتى يغضي السامع إلى حقيقته،ويهجم على محصوله كائنا من كان ذلك البيان ،ومن أي جنس كان الدليل ... فبأي شيء بلغت الإفهام،وأوضحت عن المعنى،فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[٣].

فالبيان،إذن،يدل على الوضوح والإبانة في القول الملفوظ والمكتوب،أوالإشارة أو الهيئة التي يبدو عليها الشيء،وهذا مايطلق عليه دلالة الحال،ومن معاني البيان الإعراب عما في النفس من خواطر وأفكار،ومنها مضاهاة معنى الفصاحة والبلاغة في جمال التعبير وتمام الدلالة[٤].

أما الرّمّاني (ت ٣٨٦هـ) في رسالته"النكت في إعجاز القرآن" فقد عرف البيانوقسّمه بقوله" هو الإحضارلما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الإدراك،والبيان علىأربعة أقسام:كلام،وحال،وإشارة،وعلامة.[٥]

وأما أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)فقد تناول في كتابه(الصناعتين) مباحث بلاغية تضمّ عشرة أبواب، تناول فيها: البلاغة، والفصاحة، وتميّز الكلام جيده من رديئه، ومعرفة صفة الكلام ،وترتيب الألفاظ، وحسن النظم، وجودة الرصف، والإيجاز والإطناب،وحسن الأخذ، وحلّ المنظوم، والتشبيه ،والأسجاع، والازدواج، والبديع، ومبادئ الكلام ومقاطعه، وعالج موضوعات علم البيان، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتعريض،وإن اعتبرها،عدا التشبيه، من أقسام البديع[٦].

---

(١)البيان والتبيين، الجاحظ ،ج١ص:١٠٦.
(٢) السابق١/٥٧.
(٣)السابق١/٧٦.
(٤)محمد هدارة،في البلاغة العربية(علم البيان)،دار العلوم، بيروت،لبنان،١٩٨٩م،،ط١ ،ص١٣.
(٥)الرمانّي،النكت في إعجاز القرآن،ت محمد خلف ومحمد سلام ،دار المعارف ،مصر،١٩٧٦م،ط٣، ص:١٠٦.
(٦)أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت محمد البجاوي ومحمد إبراهيم ،دار إحياء الكتب،١٩٥٢م،ط١.

أما ابن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣هـ) في كتابه (العمدة) فقد نقل تعريف الرماني،وهو: أنّ البيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة،وإنما قيل ذلك،لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي قد يدل،ولا يستحق اسم البيان"[١].

وعبارة ابن رشيق في تعريفه البيان" الكشف عن المعنى " قريبة من عبارة الجاحظ " أنّ البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى "وما يُفهم من كلام ابن رشيق وأمثلته في البيان،أنه السلاسة والجزالة والبعد عن التعقيد والتنافر والإبهام في إفادة المعنى، والبيان عنده فن من فنون البلاغة،كالمجاز والاستعارة والتشبيه والإشارة،والتتبيع والتجنيس والترديد[٢].

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابيه(دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة) فيقول:" إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا ،وأبسق فرعا،وأحلى جنى،وأعذب وردا،وأكرم نتاجا،وأنور سراجا من علم البيان،الذي لولاهلم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي،ويلفظ الدرّ"[٣].

مما يعني أنّ البيان،عنده،هو الكشف والإيضاح عمّا في النفس والدلالة عليه بروية وفكر، وأنّ البينّ الفصيح والبليغ البارع هو الذي يعرف أوضاع اللغة والمغزىمن كل لفظة ونطقبها وأدّاها بأجراسها وحروفها"[٤].

وأما السكّاكي(ت ٦٢٦هـ) في كتابه(مفتاح العلوم) فقد غيرّ حال البيان العربي،و وضع للبلاغة العربية قواعدها المنطقية، وقسّمها إلى المعاني والبيان، وألحق بهما المحسنات، ووضع لكل قسم تعريفا جامعا مانعا،وحدد مباحثه وفنونه،وقد وضع للبلاغيين التعريف الأخير للبيان: " أنّ البيان هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان بالدلالات الوضعية،ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[٥].

---

(١)ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،١٩٨١م،،ط٥ ،ج١ص :٢٥٤ .

(٢)ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ص: ٢٦٥-٣٣٣.

(٣) عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص:٦٣.

(٤) السابق ص٦٤.

(٥) السكاكي،مفتاح العلوم،ت نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٨٧م،ط٢، ص:٣٢٩.

والمراد ب"معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة "مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه،وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل،وقوانين الكناية،والمراد باختلاف الطرق التي يؤدّى بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه،أن يكون بعضها واضحا وبعضها أشدّ وضوحا،وقد أدخل السكاكي الدلالات في تقسيم موضوعاته،وبحث في هذا الباب ثلاث دلالات للألفاظ:دلالة اللفظ على تمام ما وضع له، وتسمّى "دلالة المطابقة "،وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له في اللغة،كدلالة " أسد" على الحيوان المفترس، وسمّيت دلالة اللفظ على معناه الوضعي"دلالة مطابقة"، لتطابق اللفظ والمعنى،بحيث إذا أطلق اللفظ فهم السامع معناه،ولا يفتقر العقل في إدراك المعنى من اللفظ إلى شيء آخر غير الوضع،ودلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه،وتسمى"دلالة التضمين"،كدلالة البيت على الجدار أو السقف فقط،وسميت بذلك،لأنّ الجزء المفهوم من اللفظ هو ضمن المعنى الكلي، فيدرك عند فهمه،إذ إنالعالم بوضع اللغة يفهم من اللفظ أورد معناه الوضعي، ويستتبع ذلك فهم جزء معناه، وعلى هذا لا تكون هذه الدلالة وضعية، فيأتي فيها التفاوت في درجة الوضوح ،و دلالة اللفظ على لازم معناه،وتسمى"دلالة الالتزام"، وهي دلالة اللفظ على معنى خارج على المعنى الذي وضعه له واضع اللغة،لازم له في الذهن،وهذا اللزوم الذهني قد يكون مبنيا على مجرد النظر العقلي ،دون تدخل عُ رف أو اصطلاح،وقسّم السكاكي هذه الدلالات إلى وضعية،وفيها دلالة المطابقة،والثانية عقلية، وفيها دلالتا التضمين والالتزام، فأصبحت أخيرا دلالة "البيان"محدودة في نطاق مباحث ثلاثة أساسية هي:

التشبيه بأنواعه،والمجاز بأنواعه،ثمالكناية[1].

أهمية علم البيان:

نوّه البلاغيون العرب القدامى بأهمية البيان،وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني بقوله:"ثم إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا،وأبسق فرعا،وأحلى جنى،وأعذب وردا،وأكرم نتاجا،وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي،ويصوغ الحلي،ويلفظ الدر،وينفث

(1) السكاكي،مفتاح العلوم،٣٢٩-٣٣١.

السحر،ويقري الشهد،ويريك بدائع من الزهر،ويجنيك الحلو اليانع من الثمر،والذي لولا تحفّيه بالعلوم وعنايته بها،وتصويره إياها،لبقيت كامنة مستورة،ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولاستمرّ السَّرار بأهلّها،واستولى الخفاء على جملتها،إلى فوائد لا يدركها الإحصاء،ومحاسنلا يحصرها الاستقصاء"[١].

فالبيان – بنوعيه المقنع والمؤثر– يفسر الملامح الجمالية التي تبدو في قصيدة الشاعر،أو خطبة الخطيب،أو رسالة الكاتب،أو مقالة المتكلم،ويخدم الأدب ويمدُّه بأسباب القوة والجمال والوضوح،ويقوّمه،ويشحذ الملكات الفنية لصناعة الأدب،وتقوية ملكة النقد والنظر والموازنة،وينبّه إلى مواطن الحسن والجمال،ويثير حاسة الذوق للقارئ،فيفهم ويستحسن ويستهجن،ويوازن ويفضّل،الذي حظي أصحاب البيان بالذكر وبُعد الصّيت في أزماتهم وبعدها،وفي بيئاتهم وغيرها.

وتتجلّى أهمية البيان في العلم بميادينه وآلاته وإجادتها لمعرفة دلالة الألفاظ،وقد ذكر ها ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)وهي:معرفة علم العربية من النحو والتصر يف،ومعرفة ما يحتاج إليه من اللغة،وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي والغريب،ولا المستكره المعيب،ومعرفة أمثال العرب وأيامها،والاطلاع على تآليف من تقدّم من أرباب هذه الصناعة المنظوم منه والمنثور،ومعرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارةوالقضاء والحسبة،وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبو ية الشريفة والسلوك مسلكهما في الاستعمال،ومعرفة علم العروض والقوافي التي يقام بها ميزان الشعر"[٢].

٣-علم البديع تعريفه و نشأته وتطوره:

يعرّف أبوبكر الرّازي(٣١١هـ) "البديع"فيقول:"أبدع الشيء اخترعه لا على مثال،والله بديع السموات والأرض أي مبدعها،والبديع والمبتدع،وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع،ومنه قوله تعالى:﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ سورة الأحقاف: ٩[٣]

([١])عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص٦٣.

([٢])ابن الأثير،المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر،ت احمد الحوفى وبدوي طبانة، دارالنهضة، القاهرة، مصر،دت، ط ١ .٤١-٤٠.

([٣])أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ت مصطفى ديب البغا ، دار الهدى،عين ميلة، الجزائر،١٩٩٠م ، ط٤، ص :٣٦.

وقد أشار الجاحظ إلى البديع بقوله:"والبديع مقصور على العرب،ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة،وأربتعلى كل لسان،وبشّار حسن البديع، والعتابي يذهب فيشعره في البديع مذهب بشّار"[١].

قال عنه صاحب الطراز:"اعلم أنّ هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب،ولا يكون واقعاً في المفردات،وهوخلاصة علمي المعاني والبيان ومُصاص سكرهما،وهو تابع للبلاغة والفصاحة"[٢].

وظل مصطلح البديع هكذا لم يتحدد له معنى إلى أن وصل إلى القرن الثالث الهجري،فالتقط منه شاعر عباسي يدعى ابن المعتز،فجعله اسما لكتابه،وبدأ في هذا الكتاب يؤسس لهذا العلم فقال عنه :"قد قمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن واللغة وأحاديث رسول االله –صلى االله عليه وسلم– وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم من أشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون "البديع" ليعلم أن بشارًا،ومسلمًا،وأبا نواس،ومنتقيّلهم، وسلك سبيلهم لم يستبقوا إلى هذا الفنبهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه"[٣].

ولم يتحدد مفهوم "البديع"،وظلّ يتخبط إلى أن جاء السكاكي(٦٢٦هـ)وكتب"مفتاح العلوم"فحدّده وذلك بتقسيمه إلى ضربين،ضرب يرجع إلى المعنى،وضرب يرجع إلى اللفظ،وقد عرفه بقوله"هو علم يعرف بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[٤].

ومع تطور البلاغة العربية انفصلت علومها بعضها عن بعض،فأصبح البديع هو العلم الثالث من علومها، في رأي معظم البلاغيين الذين يرون أن البديع ظاهرة شكلية،ومن بينهم عبد الرحمن بن خلدون(٨٠٨هـ) حيثيقول عنه:"وألحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق،إما بسجع بفضله،أو تجنيس يشابه بين ألفاظه،أو ترصيع

---

(١)الجاحظ،البيان والتبيين،الجاحظ،٥٥/٤.

(٢)يحيى بن حمزة العلوي،الطراز،ت عبد الحميد هنداوي،المكتبة العصرية،بيروت، لبنان،٢٠٠٢م، ط٢،١٩٤/١.

(٣)عبد االله المعتز،البديع،ت إغناطيوس كراتشق وفسكي،دار المسيرة ،بيروت،لبنان،١٩٨٢ م،ط٣،ص: ١.

(٤)السكاكي،مفتاح العلوم،ص:٤٢٣-٤٣٢.

يقطع أوزانه،أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراكاللفظ بينهما،أو طباق بالتقابل بين الأضداد،وأمثال ذلك"[١].

ويقال في تشكل فنون "علم البديع" إنّ مسلم بن الوليد(ت ٢٠٨هـ) هو أول من أطلق لفظ"البديع" على هذا الفن وشاعت الكلمة حتى صارت في العصر العباسي تعني كل صورة غريبة أو طريفة أو جديدة،ولما جاء عبد الله ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)جمع الألوان البديعية المتفرقة في سلك واحد،وجاء قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)فتكامل عدد الألوان ثلاثون،وجاء أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) وأضاف سبعة ،وجاء ابن رشيق(ت٤٦٣هـ) وأبلغها خمسة وستين،ولماجاء ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ) أشار إلى البديع في اللفظ وفي المعنى،وجمع ابن منقذ(ت٥٨٤هـ) خمسة وتسعين نوعا،ثم جاء السكاكي(ت٦٢٦هـ) ووضع البديع تحت اسم المحسنات اللفظية والمعنوية،ثم جاء الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) وذكر ثلاثين نوعا من البديع المعنوي،وفي عهده انتهتعلوم البلاغة إلى أقسامها الثلاثة:المعاني والبيان والبديع،التي يتعلمها الطلاب منذ ذلك إلى اليوم[٢].

لكنّ النظر على أن المحسنات البديعية زوائد أصبح أمرا غير مقبول في ضوء المفاهيم اللغوية الحديثة، فالبديع في فكرة "النظم" التي جاءبها عبد القاهر الجرجاني يذوب ويزيد النظم جمالا،كما أن الإسراف في طلب المحسن البديعي قد يبعث علىالتكلّف والصنعة،ويبعد عن العفوية والطبع،و لذلك نظر بعض النقاد المعاصرين إلى البديع نظرة استخفاف وازدراء على خلاف نظرتهم لعلمي المعاني والبيان،والاهتمام به حوّل الأدب العربي إلىزخارف لفظية خاوية من كل معنى عميق،أوإحساس صادق[٣]،فاشترطوا أن يكون مجيء المحسن البديعي في الكلام ضرور ة يقتضيها التعبير، إما لإجلاء المعنى أو تقويته،أو لإيقاع التأثير المطلوب في نفس السامع،أو لخلق إحساس ما[٤].

---

(١)عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،ت عبد الله محمد الدرويش،دار البلخي ،دمشق، سوريا،٢٠٠٤م، ط١،ج٢، ص:٣٧٤ .

(٢)عبد القادر حسين، فن البديع،دار الشروق،بيروت،لبنان، ١٩٨٣م،ط١،ص: ٤١-٤٢-٤٣.

(٣)السابق٢٩.

(٤)السابق ص ٢٤.

لقد ارتبط في العصر العباسي الأول بأسماء شعراءأسرفوا في البديع وأكثروا من صوره وتكلّفوا مسائله،ويمكن تقسيمهم إلى أربع فئات ومدارس لكل مدرسة منها طابعها الخاص ورجالها الذين يمثلونها،فالمدرسة الأولى مدرسة بشار بن برد(١٦٨هـ)،ومن تلامذتها ابن هرمة،والعتابي،والنميري،وأبو نواس.والمدرسة الثانية يمثلها مسلم ابن الوليد.والمدرسة الثالثة يمثلها أبو تمام الذي بلغت الصور البلاغية على يديه من التأنق والتنميق والتكلّف والتعقيد، والمزج بألوان الثقافات الواسعة والفلسفة والمنطق.والمدرسة الرابعة عمادها البحتري(٢٨٤هـ) وابن المعتز وفيها رجع البديع إلى عهد الفطرة السليمة والطبع القويم،وتحلّل من الأعباء الثقال التي أرهقه بها أبو تمام[١].

وبعد السكاكي بدأ يظهر لون جديد من البديع،جاء به شعراء حيث نظموا فنون البديع شعرًا،وضمَّنوا كل بيت نوعا بديعيا،ويسمّى هذا اللون الجديد بالبديعيات،التي ظهرت أول مرة مع علي بن عثمان الأربلي (ت٦٧٠هـ)،ثم مع صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ)ثم عائشة الباعونية (ت٩٢٢هـ) ثم ابن جابر الأندلسي(ت٧٨٠هـ).[٢]

رابعا:أهمية علم البلاغة:

إن علم البلاغة معدود من جملة العلوم العربية كما أنه معدود في جميع علوم الأدب،وتحتل البلاغة بين هذه العلوم مكانة سامية ومنزلة رفيعة،وتبرز مكانة وأهمية هذا العلم الضارب بجذوره في القدم من خلال القرآن الكريم؛حيث تتجلى فيه كل صور البلاغة العربية وفنونها في إعجاز باهر وجمال أخّاذ آسر،والبلاغة تمكّن النقّاد من المقارنة بين الأعمال الفنية،فالذوق الذاتي المحض وحده لا يكفي للحكم على الإنتاج الأدبي،بل لا بد من معرفة المعايير البلاغية التي يختلف التزامها من أديب إلى آخر،ومن عصر لآخر،وفهم النصوص الأدبية فهما دقيقا لاجتلاء ما تمتاز به من ألوان الجمال الفني،وأثره في روعة

---

(١)بسيوني عبد الفتاح فيود،علم البديع، مؤسسة المختار،القاهرة،مصر، ١٩٩٨م،ط٢ ،ص: ١٢-١٣.

(٢)نورة بن سعدالله،البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي(مذكرة ماجستير)،جامعة الحاج لخضر،باتنة،الجزائر،٢٠٠٨م،ص٤٦-٤٧.

الأسلوب،وإمتاع القارئ وتكوين ذوقه الأدبي،به يُتعرف على طرق الكلام وأساليبه،وبه تُتلمس السبل إلى مواطن الجمال أو القبح في النصوص الأدبية،وهوطريق يفتح مدارك الفهم.[١]

وهذا أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) يقول عن أهمية علم البلاغة:"اعلم – علّمك الله الخير – ودلّك عليه، وقيّضه لك،وجعلك من أهله،أن أحقّ العلوم بالتعّلم،وأولاها بالتحفّظ–بعد المعرفة بالله جل ثناؤه –علمُ البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى،الناطق بالحق،الهادي إلى سبيل الرشد،المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة،التي رفعت أعلام الحق،وأقامت منار الدين،وأزالت شبه الكفر ببراهينها،وهتكت حجب الشك بيقينها،وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة،وأخل بمعرفة الفصاحةلم يقع علُمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه الله به من حسن التأليف،وبراعة التركيب،وما شحنه به من الإيجاز البديع،والاختصار اللطيف؛وضمَّنه من الحلاوة،وجلّله من رونق الطلاوة،مع سهولة كلمه وجزالتها،وعذوبتها وسلاستها،إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها،وتحيرت عقولهم فيها،وإنما يُعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته،في حسنه وبراعته،وسلاسته ونصاعته،وكمال معانيه،وصفاء ألفاظه.وقبيح،لعمري بالفقيه المؤتمّ به ؛ والقارئ المهتدى بهديه،والمتكلمالمشار إليه في حسن مناظرته،وتمامآلته في مجادلته،وشدة شكيمته في حجاجه"[٢].

وأما الزمخشري(٥٣٨هـ) فيشير في مقدمة "كشّافه" إلى أهمية البراعة في علمي المعاني والبيان،وبذل كل جهد في معالجة مسائلهما،فيقول:"إ ن أملأ العلوم بما يغمر القرائح،وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها،ومستودعات أسرار يدق سلكها،علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ،فالفقيه،وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام،وحافظ القصص والأخبار و إن كان من ابن القرية أحفظ،والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ،والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه،واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه،لا يتصدى

([١])فهد خليل زايد،البلاغة بين البيان والبديع،داريافا العلمية،عمان ،الأردن،٢٠٠٩م،،ط١ ، ص:٢٠٩-٢١١ .

([٢])أبو هلال العسكري،الصناعتين،ص٢٠٩-٢١١.

منهم أحد لسلوك تلك الطرائق،ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق،إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛وهما علم المعاني وعلم البيان"[١].

ويقول القلقشندي(٨٢١هـ)،وهو يتحدث عن وجه احتياج الكاتب إلى المعرفة بعلوم المعاني والبيان والبديع:"اعلم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة،واقتفاء سَنن البلاغة،وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة،ومسقط حجر البلاغة،اضطر الكاتب إلى معرفتها والإحاطة بمقاصدهاليُتوصل بذلك إلى فهم الخطاب وإنشاء الجواب،جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب،مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاءمن الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللّكن،وتأدية المطلوب بها، وأنها كيف تتعين بحسب الأغراض لتفيد ما يحصل بها من التخيل الموجب لانتقالالنفس من بسط وقبض،والشيء يذكر بضده؛ فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض"[٢].

خامسا:أهـداف علـم البلاغة:

برزت أهداف محددة لنشوء الدرس البلاغي عند العرب، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

أولا:**الهدف الديني:**وهو خدمة القرآن الكريم للبرهنة على إعجازه،وفهم آياته وأسلوبه لاستنباط الأحكام منه،فكانت البلاغة بفنونها وأقسامها السبيل إلى القرآن الكريم،وقدكان الهدف الأول والأسمى من دراسة علوم البلاغة هو الوصول إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم،فإن علوم العربية نشأت أساسا لتخدم هذا الكتاب المبين، وتحفظه من التحريف،وتظهر فضله على أي كلام آخر،فالبلاغة من هذه الجهة لها غاية دينية تتصل بالدين والعقيدة.وفي هذا يقول أبو هلال العسكري:"وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم العربية،وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه االله به من حسن التأليف وبراعة التركيب،وما شحنه من الإيجاز البديع والاختصار اللّطيف،وضمنه من الحلاوة،وجلله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها

---

(١)الزمخشري،الكشاف،ص٢٣.

(٢)أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية ،القاهرة،مصر،١٩٢٢م،دط ،١٨١/١.

وتحيرت عقولهم فيها،وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته،وكمال معانيه وصفاء ألفاظه،وقبيح بالعربي الصليب وبالقرشي الصريح ألا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي،أو أنه يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي،فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى،ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جلاسمه"[١].

فبدراسة الأسباب التي تكون الجملة بهابليغة،وبدراسة أنواع الأساليب الموجز منها والمطنب،وبدراسة أبواب التشبيه والاستعارة والكناية،وأبواب البديع وغير ذلك من الوجوه والألوان البلاغية؛نعرف كيف ارتفع الأسلوب القرآني إلى مستوى الإعجاز.

ثانياً:الهدف التعليمي:

"وهو تعليم الناشئة اللغة العربية،ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأممشتىّ،وأدّى ذلك الاتصال إلىفساد اللغة ودخول اللّحن فيها.يضاف إلى ذلك أن كثيرًا من المسلمين كانوا بحاجة إلىتعلّم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم،وليعيشوا في ظلّ دولةٍ لغتها العربية، فلكي يتعلّم العربي الناشئ في بيئة امتزجت فيها اللغات بلغته ويصبح قادراً على التعبير الحسن والنظم الرائق وإنشاءالرسائل،ولكيي تعلّم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلّ ها،ولكي يصل الناس أرقى المناصب وأعلى الرتب كان عليهم جميعاً أن يتقنوا العربية،ولا يتم ذلك الإتقان إلا بمعرفة ألفاظهاوتراكيبها ومعانيها و أساليبها،والبلاغة إحدى السبل التي توصل إلى هذه الغاية وتخدمها[٢].

ثالثا:الهدف النقدي:

وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل،والبلاغة تعين الناقد كثيراً؛لأنها تقدّم له الآلة التي تعينه على الفهم والحكم،ولذلك نجد القدماء يُعنون عناية كبيرة بها،ويؤلفون الكتب فيها[٣].

---

(١)أبو هلال العسكري،الصناعتين،ص١-٢.
(٢)أحمد مطلوب،البلاغة والتطبيق،ص١٦.
(٣) السابق ص١٦.

سادسا:فوائد تعلم البلاغة العربية:

هناك مجموعة من الفوائد تحصل لمتعلم البلاغة العربية أهمها[1]:

الفائدة الأولى: استجلاء ما في القرآن الكريم من معان وأحكام وأخبار وقضايا،فلابدّ للناظر في القرآن من الإلمام بقواعد هذا العلم لمعرفة ما يدل عليه التكرار، وما ينطوي عليه الحذف، وما يفيده هذا التأويل، وغير ذلك مما يتصل بقواعد هذا العلم،فالمفسر الذي يتعرض لتفسير آية من آيات الذكر الحكيم لابدّ له من الإلمام بقواعد البلاغة،والفقيه المستنبط للأحكام لا بد له من معرفة قواعد البلاغة،والمتعرض لقصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم و أخبار الأمم وسيرهم، فلا بدّ لكل هؤلاء من معرفة قواعدالبلاغةالعربيةوأصولها.

الفائدة الثانية:

التدرب على التكلّم بالبليغ من القول،فإذا أراد صاحب اللسان العربي أن ينشئ أدبا،شعرًا كان أو نثرًا،لا يتسنى له ذلك إلا إذا ألمّ بقواعد هذا العلم، وجعله مصباحًا يهدي خطاه ويسدد قلمه بما يعرفه من تركيب الأساليب الرفيعة، وأسباب رفعتها وجمالها، أما إذا فاته هذا العلم المفرّق بين كلام جيد وآخر قبيح، وبين شعر بارد وآخر رصين؛كان ذ لك سببًا لأن يمزج الصفو بالكدر من الأساليب، ويخلط بين الرفيع والوضيع، وقد قالوا: شعر الرجل قطعة في عقله.

الفائدة الثالثة: إنّ علوم البلاغة تُعد من أمضى أسلحة النّاقد الأدبي، فهي،بلا شك،تصقل الذوق،وتنمي في صاحبها القدرة على التفرقة بين الكلام الجيد والرديء، فهي تساعد على إدراك الجمال وتذوق الحسن في ألوان الكلام، فالناقد الأدبي وهو يتعرض لنتاج أدبي لا يستطيع الحكم على هذا النتاج إلا بمعرفة قواعد علم البلاغة، فيتمكن من إبراز ما تضمّنه هذا العمل الأدبي من أسباب الجودة أو الرداءة.

([1])سارة سيف العتيبي واقع الأداء التعليمي لمعلمات مقرر البلاغة في المرحلة الثانوية للبنات(رسالة ماجستير)جامعة الملك سعود،المملكة السعودية،٢٠٠٦م،ص:١٧-١٨،ومحاضراتفي البلاغة العربية(س٢ل م د).بلخير ارفيس،جامعة المسيلة،الجزائر،ص:١١.

الفائدة الرابعة:

امتلاك القدرة على حسن الاختيار، فإذا أراد مؤلف ماأن يضع كتابًا، فإن معرفته بقواعد البلاغة تعينه على أن يختار فيه من جيد المنظوم والمنثور ما يثري به مادته العلمية،ويجعله شاهدًا على ما يسوقه من معان وأفكار.

الفائدة الخامسة:إن وضع قواعد البلاغة ومعرفتها يحول دون الفوضى في الحكم والتخليط فيه،فإذا اختلف اثنان في الحكم على عمل أدبي ما احتكما إلى علم البلاغة،وكان في احتكامهما ما يرد المخطئ عن خطئه.

الفائدة السادسة:البيان فضيلة تسمو على كثير من الفضائل؛ ولذا يفتخر به النبي – صلى االله عليه وسلمفيقول: «أنا أفصحُ العرب بيدَ أني من قريش"[1]وقوله– صلى االله عليه وسلم–« إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً"[2]. فشبّه الكلام العامل في القلوب الجاذب للعقول بالسحر، لأجل ما اشتمل عليه من الجزالة وتناسق الدلالة وإفادة المعاني الكثيرة، ووقوعه في مجازه من الترغيب والترهيب ونحو ذلك، ولا يقدر عليه إلا من فقه في المعاني وتناسق دلالتها،فإنه يتمكن من الإتيان بجوامع الكلم،وكان ذلك من خصائصه – صلى االله عليه وسلم– فإنه أوتيجوامع الكلم.[3]

فعلم البلاغةبهذا يبينسرَّ إعجاز القرآن الكريم من حيث الفصاحة والبلاغة،و يحول بين الدارس لها وبين الخطأ في الأسلوب،أو الخيال، أو المعنى،أو الغرض،أو الفكرة،كما يساعد على تنمية التذوق اللغوي،ويقدّم بعض المعايير المتصلة بفهم المعنى،ودقة الأسلوب،ويساعد الموهوبين على إنتاج أدب رائع،ثم هو بذلك يصل الدارس لها بتراث أمته عن طريق الأساليب البلاغية الجيدة التي تضمنها هذا التراث.

([1])محمود بن محمد الحداد أبو عبد الله،تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي، ،دار العاصمة،الرياض ،السعودية،١٩٨٧ م،ط١،ص: ١٤١٥.

([2])البخاري،صحيح البخاري رقم (٥١٤٦.

([3])الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني،سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ت طارق بن عوض االله)، ،دار العاصمة ،الرياض،المملكة السعودية،٢٠٠١م،،ط١،٢/١٣٢.

سابعا:عيوب الدرس البلاغي :

أينَعت البلاغة على يد الإمام عبد القاهر،واستوَتْ على سُوقها،وما لَبِثت أن استقرَّت في يد عُلماء الكلام والفلسفة والمنطق،فيقول أحمد مطلوب:«فحوَّلها عُ لماء الكلام والفلسفة والمنطق إلى تعاريفَ وتقاسيم تقومُ على جَدَلٍ عَقيم،فمنذ أن ألَّف السكّاكي في القرن السادس الهجري كتابه" المفتاح"،وجعَل القسم الثالث منه في علم البلاغة،وكُتبُ المؤلفين تدور حوله،وتُبنىَ عليه،وتَنهج طريقته الكلاميَّة الجدليَّة،بل تزيد عليه تعقيداتوإغرابًا، وكان من أثر اهتمام السكّاكي بالشكل أن قلّل الشواهد، وبتركثيراً من الأبيات الشعرية، فأصبحت مسخاً لايفهم منها القارئ شيئاً،إلا إذا كان حافظاً للشعر، أو رجع إلى مظانها يكمل ما قطع السكاكي منها"[1].

ثم جاء القزويني في القرن الثامن الهجري، فاتجَّه هو الآخَر إلى"مفتاح العلوم"،ولخَّصَ قسمه الثالث،بعد أن رأى فيه حشوًا وتطويلاً وتعقيدًا، فهذبه ورتَّبه ترتيبًا أقربَ تناولاً،ولكن بنفس الطريقة والأسلوب،ثم رأى أنَّ هذا التلخيص غير وافٍ بالغَرَض، فوضَع شرْحًا على تلخيصه هو" الإيضاح"،وهذا الكتاب هو الذي وقَفتْ عنده البلاغة لا تَريم،ولمَ يُكتَب لها بعده التطوُّر والتجديد،وفي كتابيَ القزويني"التلخيص"و"الإيضاح"يجدُ الباحث الفلسفة وأساليب المناطِقة ومصطلحاتهم ماثلةً أمامه؛ممَّا يعوق الانتِفاعَ من بلاغته في صَقْل الأذواق وتربيتها،وكتاب"التلخيص" هو الذي دارَتْ حوله، وحول شروحه دراسة البلاغة حتى العصر الحديث،وقد نقَد أحمد مطلوب كتابيَ القزويني نقْدًا بناء ،وأبرَزَ وجهة نظره في المادة البلاغية التي يتلقاها المتعلم فقال:"وهي أن يلغى التقسيم الثنائي أو الثلاثي للبلاغة،وأن نعدها فنا واحدا،وأن نتجاوز البحث في الجملة إلى الكلمة وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثره في التعبير، أما مصطلحات البلاغة فينبغي تقليلها،والاكتفاء بأهمها وأكثرها دلالة على الأساليب العربية،ونكتفي بتقسيم المجاز إلى لغوي وعقلي كما فعل عبد القاهر والقزويني،ونكتفي في الاستعارة بمصطلحات قليلة،ونهتم في بحث البلاغة بالناحية الأدبية،واختيار الأمثلة الرائعة من القرآن الكريم،وكلام العرب البليغ،ونهتم بتحليل الأمثلة

(1)أحمد مطلوب،البلاغة عند السكاكي، دار النهضة، بغداد،العراق، ١٣٨٤ه،، ط١، ص: ١٨٣ .

تحليلا أدبيا يعتمد على الإدراك والإحساس الفني،ونبعد ما أدخله القدماء من فلسفة وأصول ومنطق،ونستعين ببعض الدراسات النفسية،وما لها من أثر في الفن الأدبي[١].

و"بذلك تحجرت قواعد البلاغة وتجمدت،وسرعان ما شاع فيها العقم ،وعجّل باستقلال مباحثها عن الأدب،فإذا هي تصبح مجموعة من القواعد الجافة كقواعد النحو والصرف،فالأساتذة يدرسونها لتلامذتهم،وقد يؤلفون فيها دون عناية بالنصوص،فقد كان ينقصهم الذوق المرهف والحس الحاد،كما كانت تنقصهم الملكةالبصيرة التي تستطيع تحليل النماذج الأدبية،وتبينّ مواطن الجمال الخفية فيها"[٢].

إنّ البلاغة التي عرفها العربي بطبعه كما عرفها بعقله لم تصل إلينا على ما عرفها عليه، وصلت إلينا بعد أن مرت عبر تاريخ طويل بعصور طبعتها بالكثير من سماتها، وشابتها بالكثير من آثارها وخصائصها، فإذا هي على ما نراها عليه اليوم من تأثر بالمنطق، وإيغال في الفلسفة، وبعد عن الطبع، واتسام بذوق عصور الدول المتتابعة،وهي الإرث الذي وصل إلينا من عصور الانحطاط، ومن خلال قوالب وحدود منطقية وشروح واستطرادات فلسفية لم تعد تعجب الكثير منا ولا ترضي أذواقنا، وهل عرف العربي البلاغة يوم عرفها حدودا وتعريفات؟![٣] ولأهمية علوم البلاغة العربية في تعلم اللغة العربية وآدابها؛قرر المربون وأهل التربية اليوم أن ينال المتعلمون في المدارس قسطا من العلوم البلاغية.

([١])أحمد مطلوب،القزويني وشروح التلخيص، مكتبة النهضة،بغداد،العراق،١٩٦٧م،ط١ ،ص:٦٨٧-٦٨٨.

([٢])شوقي ضيف،لبلاغة تطور وتاريخ،دار المعارف ،القاهرة،مصر ،١٩٩٥م،،ط٢،ص: ٢٧٢-٢٧٣.

([٣])أثر القرآن الكريم في الدراسات البلاغية،إبراهيم الواقى ،مجلة الإحياء،الرابطة المحمدية ،العدد١٩،المملكة المغربية.

المبحث الثالث

تعليم وتعلم البلاغة العربية... بين الواقع والمأمول

أولاً:واقع البلاغة العربية

إن هناك فرقاً بين البلاغة،ومفهوم البلاغة التي تتلخص في ضمان التوصيل، وهو أساس الوظيفة اللغوية،أما علم البلاغة فهو مختلف الآليات التي يكتسبها المتكلم لبلوغ مراده في شكل أدبي، وبالرغم من ارتباط البلاغة وعلم البلاغة لأنهما يخرجان من مشكاة واحدة، وكلاهما يحقق هدفاً موحداً ،غير أن المفهوم الأول ارتبط بالبعد الوظيفي للغة، والثاني ارتبط بالبعد التعليمي الذي أهتم به المنظر التربوي، أي تعليم علوم البلاغة،وتلقين أبواب الفصاحة واكتساب مهارة توظيفها في مختلف الأشكال الأدبية.

لكن الأمر مختلف ومتداخل لدى الناطقين بغير العربية، حيث إن أسبابهم الدافعة الي تعلم البلاغة ليس له بعد وظيفي إذ استعمالهم لها قليل، أما البعد التعليمي فأكثرهم يتعلمها لغرض ديني لاسيما إذا كان يدرس العلوم الشرعية.

والحقيقة التي ينبغي أن ندركها ويدركها معنا أساتذة البلاغة هو اهتمام كثير من مدرسي البلاغة للناطقين بغيرها يركزون على تلقين الطالب مصطلحات البلاغة الجامدة دون النظر في استظهار قدرة هؤلاء الطلاب على الحديث بها ، أو التعبير عن المعنى من خلالها.

ذلك أن الطالب يصعب عليه ذلك بعد أن امتلأت رأسه بمصطلاحات يصعب على العرب أنفسهم فهمها، وهذا ما قصده الدكتور حسين نصار بقوله:"فمدرس اللغة العربية يصب اهتمامه كله على حفظ الطالب للقواعد، لا على قدرة الطالب على التعبير الشفوي،أو المدون وهذه القدرة هي الهدف الحق من التعليم ، ويجب أن تغير طرائقه التعليمية،لتصل بالطالب في يسر الى هذا الهدف مثل بقية دارسي اللغات المختلفة، فيتحقق تعليم العربية من تعليم القواعد غير المستعملة، والظواهر الشكلية، والعلل الجدلية التي أتى بها المنطق الصوري، وتصطنع المناهج الحديثة في تدريس اللغات"[1]

([1])حسين نصار،دراسات لغوية، دار الرائد العربي،بيروت،١٤٠١هـ،١٩٨١م.ص٩.

ولقد رأيت أثر ذلك بنفسي و أم عيني في طلاب كلية اللغة العربية جامعة الإنسانيةحيث يتمتعون بملكة للحفظ تمكنهم من حفظ صفحات كاملة كتبت بالعربية لكنهم لا يفهمون معناها، فقد طغا حفظهم على فهمهم،كما أنهم وقفوا بما تعلموه عند حد الحفظ ، ولم يتجاوزه إلى التطبيق فيما يشبههه من مواقف كلامية.

إذن، فالطلاب بين طبقتي رحى ، ولساناً بين أسنان، وأشباهاً ولا أرواح، وخيالاً ولا حقيقة! لأنهم انفصلوا بما حفظوا عن واقعهم الذي يعيشونه، فكانوا كالضب إذا بعد عن جحره خبل، وأهل الصحراء أدرى بذلك.

إن لكل مادة أهدافا ومخرجات، وهما متلازمان، ومشروطان،إذا حدث الأول تحقق الثاني، و" إن فقه الواقع المعيش يقتضى أن تكون القواعد اللغوية والبلاغية المقوِّمة للألسنة هي محط أنظار المهتمين بإعداد الدرس اللغوي والبلاغي للمتعلمين الناطقين بغير العربية،وليحسنوا التأويلات والتقديرات والعلل،ذلك أن الغاية الحقيقة التي يرام بلوغها من تدريس البلاغة العربية للناطقين بغير العربية هي استقامة لغتهم وبلوغ المعنى.

وإذا وقفنا أمام مصطلحي التعليم والتعلم فسنجد أنفسنا إزاء مصطلحين متكاملين،لا يمكن الفصل بينهما لشدة تداخلهما،وتشابكهما،لكننا يمكن أن نضع حداً فاصلاً بينهما،من حيث اهتمام كل منهما،فالتعلم عملية معرفية تهتم في المقام الأول بالمتعلم،وما يصدر عنه من سلوك وانفعال خلال عملية التعلم،فالمتعلم هو المحور الرئيس في هذه العملية.أما التعليم فهو عملية تختم بالمعلم ونشاطه الوظيفي،وأدائه التعليمي داخل الصف الدراسي.

ولعلنا من خلال هذا الحد الجوهري بين المصطلحين نستطيع أن نفرق بين المصطلحين،فنظريات التعليم تولي اهتمامها بما يقوم به المعلم بغرض التحسين والتطوير ،أما نظريات التعلم فترصد سلوك المتعلم بهدف تحسينه وتطويره.

<u>أسس تدريس البلاغة</u>

ولتدريس البلاغة العربية عدة ركائز يعتمد عليها منها:

- البلاغة فن أدبي يشحذ الذوق،ويرقى بالحس،فهي تختلف عن العلوم العقلية التي تنمي العقل بإضافة جديد من الحقائق والمعلومات.
- ترتبط البلاغة العربية بالطابع الفني الوجداني ارتباطا وثيقا.

- على مدرسي البلاغة العربية أن يتجهوا في دراسة النص الأدبي اتجاها خالصا لا تشوبه البحوث العقلية، فيقوِّموا النص من حيث الفكرة والعبارة ويقدروا حظ الأديب منالمهارةالفنية ولايستهلكوا الوقت والجهد في استنباط التعاريف،وتحديد اللون البلاغي،دون التعرض لكشف أسرار الجمال،فإن ذلك من شأنه الحد من تشكيل الذائقة الأدبية،ووضع البلاغة في دائرة فلسفية عقيمة لا تنمي حساً،ولا تخلق ذوقاً.

هذا، ويكشف الواقع عن أن ثمة مشكلات، وصعوبات، تعترض المعلم والمتعلم، والمقررات،وطريقة العرض على حد سواء ويمكن عرضها فيما يلي:

أولا:صعوبات تواجه المعلم

عند تدريس البلاغة العربية للناطقين بغيرها ، فهناك صعوبات تعترض معلم اللغة العربية ،والمقصود بالصعوبات العوائق التي تحول دون تمكن الطلاب من فهم واستيعاب الصورالبلاغية الواردة فيالمساق المقررالذي يشمل المباحث الثلاثة فيالبلاغة :المعاني– البيان– البديع) وهي متداخلة ومتشابكة، وأوضحها ما يلي:

١. عدم إدراك المعلم لأهداف تدريس البلاغة ، فيكون اهتمامه منصبًّا بشكل كبير على إنجاز مقرره الدراسي دون النظر إلى طريقته في تدريس هذا المقرر هل هي شائقة وجذابة ، ام نافرة ومملة؟
٢. إن تعليم البلاغة يرتكز على أسس عامة ينبغي أن تتوافر في معلم البلاغة العربية،وإذا فقد واحدا منها،صعب عليه الأمر واستثقل، وأهمها أن يكون لديه إحساس مرهف،يستطيع من خلاله كشف جمال النصوص،وتذوقها.
٣. ضعف التأهيل لدى مدرسي اللغة العربية، وعدم جاهزيهتم لتدريس اللغة العربية عامة، والبلاغة خاصة.
٤. انشغال المعلم بإنهاء المقرر الدراسي من دون التأكد على عامل التطبيق،وكأنه الهدف الأساسي من شرح البلاغة،وهذه الطريقة تمزق أوصال العبارات،وتشوه جمالها، ولا تعطي انطباعا سليما صحيحا فيما إذا كان الطالب قد استوعب هذا التذوق البلاغي أم لا.

٥. والاهتمام بالتعاريف والتقاسيم من قبل المعلم اهتماما مسرفا يطغى على جماليات الأساليب البلاغية.وعدم ربط دروس البلاغة بالقراءة والتعبير، ودروس اللغة الأخرى.

٦. عدم الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة كالمختبرات اللغوية والتسجيلات الصوتية.[١]

ثانيًا: تحديات ومشكلات تواجه المتعلم:

وإذا كنا نتكلم عن مشكلات تواجه المعلم بوصفه أحد أركان عملية التعلم،فإننا لا يمكن أن نغفل الركن الركين في تلك العملية،ألا وهو المتعلم،حيث تتنوع مشكلاته،وتتعدد إشكالياته،منها:

- **مشكلات غير معرفية:**

في بحث له حول الصعوبات التي تواجه الناطقين بغير العربية في تعلم قواعد النحو العربي يشير الدكتور وليد عبد الباقي الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم إلى هذه المشكلات التي سماها "مشكلات غير لغوية" مؤكدا أنها لقيت عناية من الباحثين ولا سيما التربويون،وتتمثل في مشكلات اجتماعية وثقافية،ونفسية تتجلى في الشعور بالغربة لدى المتعلم حين انتقاله من مجتمع لغته الأصلية التي يتكلمها إلى مجتمع لغته التي يتعلمها،وهو شعور سببه التفاوت في الثقافة واللغة والتواصل بين اللغة الأم واللغة الثانية.[٢]

وفي الحقيقة أن هذه الغربة غير مقصورة على الناطقين بغير العربية،بل هي حاصلة لكل من أراد أن يتعلم لغة أحرى غير لغته الأم ويشعر بعدم قدرته على ذلك.بيد أن الأمر لا يمكن أن يُترك دون معالجة حقيقة"فإذا تعمق لديه هذا الشعور،يعني الغربة،ولم يواجهه أو

([١])جميلة خليل أحمد حسين،أهم الصعوبات التي تواجه معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بحث منشور للباحثة على الشبكة المعلوماتية بالمركز السوداني للبحث العلمي.

([٢])وليد محمد عبد الباقي،صعوبات تدريس القواعد للناطقين بلغات أخرى.بحث منشور ص١١.

يتغلب عليه فإن المشكلة ستتفاقم؛لأنه سيعاني من صراع الانتماء إلى مجتمعين ترتبط بهما ثنائية لغوية إحداهما ترتبط بمجتمع لغته الأم،والأخرى ترتبط بمجتمع اللغة الثانية.[١]

بل إن الأمر قد يصل إلى عزلة اجتماعية في حالة فشل المتعلم في تحصيل اللغة الثانية بوصفها لغة التواصل مع المجتمع،فإذا كان لا يتقن اللغة الثانية جيدا،فإنه سيتعرض لمشكلة الاتصال اللغوي والتفاهم مع الناس من حوله..وعليه،وفي هذه الحالة يتعذر على المتعلم عملية التواصل مع جيرانه في السكن،وزملائه في العمل مما يجعله في عزلة اجتماعية تنتهي بفقدان دافعية التعلم.[٢]

- **مشكلات معرفية:**

ويشكل هذه المشكلات مجموعة متداخلة من الصعوبات،منها ما يتعلق بالجانب المعرفي والمستوى الثقافي للمتعلم،ومنها ما يتعلق بمادة البلاغة ذاتها ومقرراتها وطريقة عرضها.أما ما يتعلق بالمشكلات المعرفية للمتعلم فهي كالآتي:

١-عدم إدراك الطالب للفروق الفردية التي بينه وبين أقرانه،كذلك عدم وضوح الرؤية لديه في إدراك الغاية من وراء دراسة البلاغة.

٢-ضعف الجانب اللغوي والأدبي لدى الطالب، يجعل هناك حاجز منيعا، وسدا صلبا أمام استيعابه أبواب البلاغة بوصفها تمثل المستوى الأعلى والأفصح للغة العربية.

٣-المقارنة الدائمة بين الأساليب البلاغية التي يتعلمها في العربية وبين لغته الأم،الأمر الذي ينشأ عنه ازدواجية بين اللغتين من شأنها أنتؤثِّر إحداهما في الأخرى.

٤-غياب التذوق الأدبي والجمالي للنصوص عند المتعلم،وهذا ينشأ نتيجة لضعف الثقافة اللغوية،وغياب البيئة العربية التي،غالبا، لا يستطيع الطالب والمتعلم تصور مفرداتها،فمثلا إذا سمع المتعلم الأستاذَ يُشبه المرأة بالغزال،أو عيونها بعيون المها، فإنه يستغرب هذا،بل لا يكاد يسيغه،فهو لا يعرف إلا اللغة المباشرة.

---

(١) السابق.

(٢)شادي مجلي عيسى،المشكلات الاجتماعية والنفسية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ص١٤،بحث منشور للباحث شبكة الألوكة بالشبكة العنكبوتية.

٥-إهمال عنصر الخيال،ومدى أهميته في إدراك كنه البلاغة العربية التي هي حد فاصل بين الحقيقة والمجاز.

ثالثا: صعوبات تعود إلى مادة البلاغة:

ولا شك أن صعوبة استيعاب الدرس البلاغي العربي له صعوبات متعددة، ولعل البلاغة نفسها إحداها،متمثلة في النقاط التالية:

- عدم الربط بين الموضوعات التي تتحد غاياتها وتتقارب مثل الجناس والتورية ، وكذلك الأمر والنهي والاستفهام.
- الاعتماد على أمثلة الكتاب والتقيد بشرحها وتحليلها.
- عدم تلبية محتوى المادة لحاجات الطالبات وخصائصهم النفسية.
- تركيز المحتوى على الجانب النظري على حساب الجانب التطبيقي.
- غموض الأهداف وتداخلها وعدم تناولها للمستويات المختلفة (المعرفية، الوجدانية، المهارية).

رابعا : صعوبات تعود إلى طرق التدريس: وهي كالتالي:

- شرح الدرس عن طريق القواعد والمباحث واختبار العقل، مع إغفال الجانب الذوقي.
- الإسهاب في استعمال المصطلحات والتقاسيم البلاغية بلا فائدة أو طائل.
- تدريس القواعد بعيدا عن النص الأدبي، والاعتماد على الأمثلة المبتورة.
- إتباع أساليب قديمة في تدريس البلاغة.
- عدم استعمال الوسائل التعليمية التي تيسر فهم المعلومات البلاغية.
- إغفال الجوانب الوجدانية في تذوق النصوص الأدبية.

خامسا: صعوبات تعود إلى أساليب التقويم: ويمكن حصرها فيما يلي:

- عدم وجود أسئلة تقيس المهارات العليا كالتحليل والتركيب والتقويم.
- تركيز أساليب التقويم على الحفظ والتذكر.
- إهمال قياس التذوق الأدبي.
- أساليب التقويم لا تحقق التوازن في قياس المعارف والاتجاهات والمهارات العملية.
- لا تخدم أساليب التقويم الكشف عن جوانب الضعف لدى الطلاب.
- أساليب التقويم لا تسهم في تطوير تعلم البلاغة.

ثانيا: حلول ومقترحات:

هذا،ومن خلال ما تم عرضه من دراسات سابقة، وأدب نظري حول البلاغة ومشكلات تدريسها،خرج البحث بمجموعة من الحلول والمقترحات على النحو الآتي:

أولا : ما يتعلق بمادة البلاغة:

١-يجب الربط بين الموضوعات المتشابهة في دروس البلاغة.

٢-إثراء الكتاب المدرسي بأمثلة خارجية حول موضوع الدرس.

٣-على واضعي المناهج مراعاة حاجات الطلاب وخصائصهم النفسية.

٤-التركيز على الجانب التطبيقي عند شرح المصطلحات البلاغية.

ثانيا : طرق التدريس: هناك عدة أمور تجب مراعاتها عند تدريس البلاغة وهي:

١-مراعاة الجانب الذوقي عند شرح الدرس عن طريق الأمثلة التي تخاطب الوجدان.

٢-الاقتصار على المصطلحات المهمة دون الخوض في التشعبات التي لا طائل منها.

٣-تدريس المصطلحات البلاغية عن طريق النص الأدبي كوحدة متكاملة.

٤-استثمار الوسائل التعليمية الحديثة من عروض وبرامج التي تيسر فهم المعلومات البلاغية.

المبحث الرابع

(الاستبيان)

إجراءات البحث:

موضوع هذا المبحث هو تحليل استبانة عن صعوبات تعلم البلاغة العربية.

أولًا: مجتمع الدراسة:

عينة من طلاب السنة الثالثة والرابعة من طلاب كلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه.

ثانيًا: عينة الدراسة:

أُجْرِيَتْ هذه الاستبانة على طلاب السنة الثالثة والرابعة، ولقد استهدفت طلاب هذين السنتين؛ لأنهم يمثلون المرحلة المتقدمة في الدراسة،ومن ثم فلديهم القدرة على التعبير عن آرائهم بحيادية مع فهم للمراد من الاستبانة، وعليه تحقيق الهدف الذي أُعِدَّت من أجله الاستبانة.

حدد الباحثان العينة التي تُوجَّه إليها الاستبانة، فكانت **العينة الأصلية** المستهدفة هي طلاب السنة الثالثة والرابعة بكلية اللغة العربية،بواقع (٦٤ طالبًا) في السنة الثالثة.و(٥٨طالبا) في السنة الرابعة.

جدول (١) عينة الدراسة:

المستوى	عدد الطلاب
الثالثة	**٦٤ طالبًا**
الرابعة	**٥٨طالبًا**
المجموع	**١٢٢ طالبًا**

ثالثًا:مادة الدراسة:

يُتَوقع من الاستبانة أن تقيسَ:

١- مدى الإقبال على تعلم البلاغة العربية.

٢- مدى تقبُّل الطالب لمعلم البلاغة.

٣- مدى رضا الطالب عن بيئة التعلم.

٤- مدى أثر ازدواجية اللغة في عملية التعلم .

ويشترك في هذا طلاب السنتين من خلال عدة تساؤلات وردت في الاستبانة،إذ إنها تقيس مدى قدرة المتعلم على التمييز بين الموضوعات في ضوء الفهم، واستظهار أقسامها.

رابعًا: منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي الإحصائي من خلال معطيات علم اللغة التطبيقي.

خامسًا: مؤشرات القياس:

اشتملت الاستبانة على مؤشرات قياس يختار الطالب منها ما يراه مناسبًا له، وهي: دائمًا الدالة على الاستمرار دون انقطاع، وغالبًا الدالة على الكثرة، وأحيانًا الدالة على القلة، ونادرًا الدالة على أدنى درجة.

ويستطيع الباحثان من خلال اختيارات طلاب العينة أن يحسبا النسب المئوية التي من خلالها تتضح نتائج الاستبانة.

وقد أجريت هذه الاستبانة لقياس المحاور التي تمت الإشارة إليها آنفا، فكانت نتائجها ونِسَبُها المئوية على النحو التالي:

المحور الأول: مدى الإقبال على تعلم البلاغة العربية:

جدول (٢)

المؤشرات المختارة	الفرقة الثالثة		الفرقة الرابعة	
غالبًا أحيانًا دائمًا نادرًا	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية
دائمًا	٢٣٥	%٤٢	١٧٩	%٣٩
غالبًا	١٣٥	%٢٤	١٠٢	%٢٢
أحيانًا	٩٤	%١٧	٩٨	%٢٢
نادرًا	٩٤	%١٧	٧٦	%١٧
الإجمالي	٥٥٨	%١٠٠	٤٥٥	%١٠٠

يُلاحَظ من الجدول رقم (٣) أن نسبة المتعلمين الذين يُقبلون على تعلم البلاغة في السنة الثالثة هو (٤٢%) وتقترب منها نظيرتها في السنة الرابعة (٣٩%)، وهذا مؤشر إلى أن الإقبال على تعلم البلاغة قريب من المتوسط،وأن نسبة المتعلمين المقبلين على تعلم البلاغة لا يتجاوز نصف مجموع الطلاب، ومرد قلة النسبة في الرابعة مقارنة بالثالثة هو عدد الطلاب الذين أجريت عليهم الاستبانة؛ فطلاب السنة الثالثة بلغ عددهم اثنين وستين طالبًا، في حين بلغ عدد طلاب الرابع واحدًا وخمسين طالبًا، بفارق أحد عشر طالبًا للسنة الثالثة.لكن على الرغم من أن النسبة لم تتجاوز نصف عدد الطلاب،إلا أنها تشير إلى أن نسبة المتعلمين المقبلين على تعلم البلاغة أعلى من نسبة المتعلمين الذين لا يُقبلون على تعلمها؛إذ إن نسبتهم لم تتجاوز (١٧%) وهي نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالنسب الأخرى، وهذا دليل على أن المتعلمين الذين لديهم دافعية التعلم والتحصيل نسبتهم أعلى.

المحور الثاني: مدى تقبل المتعلم لمعلم المادة:

جدول (٣)

المؤشرات المختارة	السنة الثالثة		السنة الرابعة	
غالبًا أحيانًا دائمًا نادرًا	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية
دائمًا	٦٤	%٣٤	٤٥	%٣٠
غالبًا	٤٠	%٢٢	٤٠	%٢٦
أحيانًا	٤٨	%٢٦	٣٧	%٢٤
نادرًا	٣٤	%١٨	٣١	%٢٠
الإجمالي	١٨٦	%١٠٠	١٥٣	%١٠٠

الجدول رقم (٤) يقيس علاقة المتعلم بالمعلم، ومدى تأثره به، وإقباله على التحصيل منه، ونسبة قبول المتعلمين لمعلميهم هي الأعلى من خلال ما توضحه النسب المئوية في السنة الثالثة (٣٤%)، والسنة الرابعة (٣٠%) وهي أعلى من النسب الأخرى؛ لكن بقياس الحد الأدنى إلى الأعلى في المستويين، يتضح أن تقبل الطلاب لمعلميهم في المستوى الثالث أعلى منه في المستوى الرابع، إذ إن الحد الأدنى في الثالثة (١٨%) وهو بالنسبة للحد الأعلى يمثل (٥٠%) تقريبًا منه، بخلاف الرابعة الذي يمثل الحد الأدنى فيه (٢٠%) وهو بالنسبة للأعلى يمثل (٦٦%) تقريبًا. لكن المتوسط العام المتمثل في المؤشرين (غالبًا) و(أحيانًا) معًا يكادان يقتربان جدًّا؛ فهو بنسبة (٤٨%)في الثالث،و(٥٠%) في الرابع، وهذا مؤشر أن تقبل المتعلمين لمعلميهم هي النسبة الأكبر.

المحور الثالث: مدى رضا الطالب عن بيئة التعلم:

جدول (٤)

المؤشرات المختارة	السنة الثالثة		السنة الرابعة	
غالبًا أحيانًا دائمًا نادرًا	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية	عدد مرات لاختيار	النسبة المئوية
دائمًا	٤٨	%٢٦	٣٦	%٢٣
غالبًا	٤٩	%٢٦	٤١	%٢٧
أحيانًا	٤٩	%٢٦	٤٠	%٢٦
نادرًا	٤٠	%٢٢	٣٦	%٢٤
الإجمالي	١٨٦	%١٠٠	١٥٣	%١٠٠

في الجدول رقم (٥) يُلاحَظ في قياس مدى رضا المتعلم عن بيئة التعلم الفيزيقية أن النسب متقاربة جدًّا داخل السنة الثالثة،وكذلك في الرابعة،ونسبة رضاهم باستمرار (دائمًا) تمثل الربع تقريبًا؛ (٢٦%) في الثالث، و(٢٣%) في الرابعة، يعني الربع فقط هو من لديه شعور بالرضا عن بيئة التعلم، وقد يُعْزَى السبب في هذه النسبة إلى عدم استخدام وسائل الاتصال التقنية الحديثة داخل قاعة الدرس، فضلًا عن عدم الإعداد الجيد للمتاح من وسائل التعلم المستخدمة، والمُشَتِّتات الخارجية التي لها علاقة بالأصوات المرتفعة المنبعثة من خارج الصف، والإضاءة المتفاوتة، ومنافذ التهوية وما يتصل بذلك من خلل التحكم المركزي في التبريد صيفًا،والتدفئة شتاءً،والاختلاف النسبي في هذا الأمر بين قاعة وأخرى.

المحور الرابع: مدى أثر ازدواجية اللغة في عملية التعلم:

جدول (٥)

المؤشرات المختارة	السنة الثالثة		السنة الرابعة	
غالبًاأحيانًا دائمًا نادرًا	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية	عدد مرات لاختيار	النسبة المئوية
دائمًا	٧٤	%٢٤	٧٥	%٢٩
غالبًا	٦٣	%٢٠	٤٨	%١٩
أحيانًا	٥٤	%١٧	٣٨	%١٥
نادرًا	١٢٠	%٣٩	٩٥	%٣٧
الإجمالي	٣١١	%١٠٠	٢٥٦	%١٠٠

يبين من الجدول رقم (٦) أن أثر الازدواج اللغوي في ألسنة المتعلمين في السنة الثالثة أقل منه في السنة الرابعة على الرغم من قلة عدد طلاب الرابعة؛ وقد يكون مرد ذلك إلى أن طلاب الرابعة صاروا أكثر احتكاكا بالمجتمع من طلاب الثالثة، وتأثرهم بما يسمعونه من العامية أعلى نسبة من غيرهم من الطلاب، فالنسبة في الثالثة (٢٤%)، أما في الرابعة فالنسبة هي (٢٩%)، إلا أن المؤشرات تدل على أن نسب سلامة ألسنة الطلاب من الازدواجية اللغوية أعلى ففي المؤشر (نادرًا) نسبة طلاب الثالثة (٣٩%)، ونسبة طلاب الرابعة قريبة منها جدًّا وهي: (٣٧%)، وهذا مؤشر جيد إلى أن أكثر الطلاب أشد تمسكًا بالعربية الفصيحة أكثر من التواصل بالعامية،أو باللغة الأم،وهو –وإن حدث– فهو قليل، لا يتجاوز أبناء اللغة الأم نفسها.

المحور الخامس: مدى قدرة المتعلم على التمييز بين الموضوعات، واستظهار أقسامها:

جدول (٦)

المؤشرات المختارة	السنة الرابعة	
	عدد مرات الاختيار	النسبة المئوية
دائمًا	٧٤	%٢١
غالبًا	١٥٨	%٤٤
أحيانًا	٩٦	%٢٧
نادرًا	٢٩	%٨
الإجمالي	٣٥٧	%١٠٠

هذا الجدول رقم (٧) يقيس مدى استيعاب طلاب السنة الرابعة لدروس البلاغة في ضوء تذكر عناوين الدروس،وفهمهم لأقسامها،واستظهار هذه الأقسام،ولقد خُصَّ طلاب السنة الرابعة فحسب بهذا المحور؛للوقوف على مدى ما حصلوه طوال فترة الدراسة بالكلية، والاطمئنان على مستوياتهم قبل التخرج في كلية اللغة العربية ،وكانت نتائج هذا المحور مؤشرا إلى أن المتعلمين أغلبهم يتخرجون في الكلية وهم مدركون تماما لما دُرِّسَ لهم من القواعد، وغالبيتهم يذكر جيدًا الدروس وتقسيماتها، فنسبة (٤٤%) منهم يستظهرون القواعد، ويطبقونها في مهارة التحدث والتواصل اللغوي، ونسبة المتعلمين الذين لم يحصلوا جيدًا ضئيلةٌ جدًّا؛ فهي لا تتجاوز (٨%) من الطلاب.

مردود نتائج استبيان تقييم المقررات الدراسيةتم عمل الآتي:

- توصية الأساتذة من قبل مجالس الأقسام باستيعاب مكونات المقرر الرئيسية، وجزئياته الهامة بالشرح والتوضيح داخل المحاضرة.
- التوصية بتنظيم دورات للأساتذة في فن التدريس وطرائقه لرفع الكفاءة المهنية.

- توصية الأساتذة من قبل مجالس الأقسام بضرورة التزام اللغة العربية الفصحى السلسة في أثناء الشرح؛ لما في ذلك من فوائد جمة، إحداها إفادة أكبر عدد من الوافدين.
- وضع نظام لمتابعة سير المحاضرات، وتلقي اعتذارات الأساتذة قبل بدء المحاضرة بوقت كاف لترتيب البديل.
- إعلام الأعضاء بالندوات والمؤتمرات العلمية بالوسائل المناسبة وفي الوقت المناسب.
- ربط الوحدة بالأقسام العلمية عن طريق منسقي الأقسام.
- توصية الأساتذة من قبل مجالس الأقسام بضرورة الاهتمام بجودة الكتاب الدراسي إعدادا وطباعة وإخراجا.
- توصية الأساتذة من قبل مجالس الأقسام بضرورة الاهتمام بتنويع طرائق التدريس المتبعة، والإفادة من الأدوات التعليمية الحديثة في تدريس المقررات وعرضها.
- تنظيم دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس فيما يتعلق بمهارات التدريس وطرائقه لرفع الكفاءة المهنية.

النتائج والتوصيات:

لقد تسنى للباحثين بعد إنهاء هذا البحث الوقوفُ على جملة من النتائج تتمثل في النقاط التالية:

أولًا: تدريس البلاغة العربية للناطقين بغيرها هو مدار اهتمام القائمين على هذا الأمر قديمًا وحديثًا، وذلك لفصاحة اللسان،وإدراكا لبلاغة النص القرآني.

ثانيًا: ثمة خلطٌ في تصور كثير من المعلمين وخبراء تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى، بين مفهوم البلاغة، وعلم البلاغة،ويتبع هذا الخلط الذهني بينهما خلطٌ في مستويات النشاط البلاغي التابع لكل منها.

ثالثًا: واقع تدريس البلاغة العربية مكدس بالمشكلات والصعوبات والتحديات التي تواجه محاور عملية التعلم من معلم، ومتعلم، ومحتوى مقرر يُقَدَّم للمتعلم، فضلا عن بيئة التعلم.

رابعًا: فقه الواقع يقتضي أن يكون الهدف المنشود من تدريس البلاغة العربية هو الوصول بالمتعلم إلى مستوى جيد من الكفاءة اللغوية والبلاغية يمكنه من التواصل تحدُّثًا بلغة فصيحة تخلو من اللحن، وكتابةً صحيحة تخلو من الخطأ.

خامسًا: مواجهة الصعوبات والتحديات، والتغلب عليها مسئولية مشتركة، تنهض بها المؤسسات التعليمية، بمعاونة الخبراء والمعلمين، وليست مسئولية فرد أو مؤسسة دون غيرها.

سادسًا: المحتوى المقرر يحتاج إلى تقييم وتقويم باستمرار حتى تؤتي العملية التعليمية جناها المأمول، وإهمالهما سببٌ في بناء عقول على أساس جامد غير متطور، وغير مواكب لمتطلبات السوق المجتمعي.

سابعًا: التغلب على مشكلة الازدواج اللغوي يحتاج إلى العمل بآليات متعددة أبرزها التصدي لما يؤثر في السلامة اللغوية تأثيرًا بالغًا، ووضع إستراتيجيات يُخْتَار في ضوئها ما يُمَرَّرُ للمتعلمين من العامية القريبة من الفصحى، حتى يتيسر له التواصل مع بعض فئات المجتمع في مواقف البيع والشراء والتحايا.

ثامنًا: أسفر الجانب الميداني المبني على الاستبيان أن معظم متعلمي اللغة العربية في كلية اللغة العربية في جامعة السلطان عبد الحليمجيدون في التحصيل البلاغي،ودافعية التعلم لديهم لا بأس بها.

تاسعًا: تلبية حاجة الطلاب في تخصيص محاضرة أسبوعية للتطبيق على ما تم تدريسه لهم.

التوصيات:

يوصي الباحثان ببعض التوصيات التي من شأنها –في تقديرهما– النهوضبعملية التعلم في المؤسسات التعليمية:

١– إرساء مبدأ التعاون الأكاديمي بين المعاهد والوحدات المختلفة؛ لتحقيق التكامل بينها.

٢– تفعيل وسائل الاتصالات الحديثة، وتطويع التقانات التكنولوجية بما يخدم العملية التعليمية، ويمضي بها قُدُمًا، ويعمل على تحقيق الأهداف الإجرائية للعملية التعليمية.

٣– متابعةعَقْدِ الدورات التدريبية المختلفة للمعلمين؛ وذلك لرفع كفاءاتهم التربوية، والنهوض بمستواهم الأكاديمي بما يواكب المتطلبات العالمية المشتركة في ميدان التربية والتعليم.

والله من وراء القصد،وهو يهدي السبيل.

وصلى الله وسلم على سيدنا _محمد صلى الله عليه وسلم_.

المصادر والمراجع

***القرءان الكريم**

- إبراهيم الوافي،أثر القرآن الكريم في الدراسات البلاغية،مجلة الإحياء،الرابطة المحمدية ،العدد١٩،المملكة المغربية.
- اتجاهات البلاغة فى القرنيين السادس والسابع الهجريين(رسالة دكتوراه) سلامة جمعة العجالين، جامعة مؤتة،الأردن،٢٠٠٨م.
- ابن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ت احمد الحوفى وبدويطبانة،دارالنهضة،القاهرة،مصر،دت، ط ١.
- احمد الهاشمى،جواهر البرغة في علم المعانى والبيان والبديع ،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان،دت،ط١٢.
- أحمد مطلوب،البلاغة عند السكاكي، دار النهضة، بغداد،العراق، ١٣٨٤ه، ط١.
- أحمد مطلوب،القزويني وشروح التلخيص، مكتبة النهضة،بغداد،العراق،١٩٦٧م،ط١.
- أحمدمطلوب،كاملحسن البصير ،البلاغة والتطبيق،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،العراق، ١٩٩٩م،ط٢.
- الخطيب القزويني،الإيضاحفيعلوم البلاغة،تحقيق محمدعبد المنعم خفاجي،دار الكتاب اللبنانيي، بيروت ١٩٧٥،ط٤.
- امرؤ القيس،ديوانه،ت مصطفى عبد الشافي ،دار الكتب العلمية،لبنان ط٢٠٠٤،،٥م.
- البحتري،ديوان شعر،عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي،دار المعارف بمصر،ط١.
- بدوي طبانة،علم البيان،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
- بسيوني عبد الفتاح فيود،علم البديع، مؤسسة المختار،القاهرة،مصر، ١٩٩٨م،ط٢.

- أبو بكر الرازي،مختار الصحاح، ت مصطفى ديب البغا ،دار الهدى،عين ميلة، الجزائر،١٩٩٠م،ط٤.
- الجاحظ،البيان والتبيين،الشركة اللبنانية للكتاب،١٩٦٨م.
- الجاحظ،البيان والتبيين،ت عبد السلام هارون،
- الجارم وأمين،١٩٥١ البلاغة الواضحة،دار المعارف،القاهرة.
- جميلة خليل أحمد حسين،أهم الصعوبات التي تواجه معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها،ب على الشبكة المعلوماتية بالمركز السوداني للبحث العلمي.
- حسين نصار،دراسات لغوية، دار الرائد العربي،بيروت،١٤٠١هـ،١٩٨١م.
- الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة.
- ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس،دار صادر،بيروت،لبنان ،١٩٧٧.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين،ت عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،،٢٠٠٣م، ط١ .
- ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،١٩٨١م،،ط٥.
- الرمانّي،النكت في إعجاز القرآن،ت محمد خلف ومحمد سلام ،دار المعارف ،مصر،١٩٧٦م،ط٣.
- الزمخشري،الكشاف،ت خليل محمود شيحا،دار المعرفة ،٢٠٠٩م، ط٣.
- سارة سيف العتيبي،واقع الأداء التعليمي لمعلمات مقرر البلاغة في المرحلة الثانوية للبنات(رسالة ماجستير). ،جامعة الملك سعود،المملكة السعودية،٢٠٠٦م،ومحاضراتفي البلاغة العربية(س٢ل م د).بلخير ارفيس،جامعة المسيلة،الجزائر.
- السكاكي،مفتاح العلوم،الطبعة الأولى،دار الكتب العالمية،بيروت عام ١٤٠٣.
- السكاكي،مفتاح العلوم،ت نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٨٧م،ط٢.
- السكاكي،مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٨٧م،ط٢.
- شادي مجلي عيسى،المشكلات الاجتماعية والنفسية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ،بحث منشور للباحث شبكة الألوكة بالشبكة العنكبوتية.
- الشافعي،محمد بن إدريس الشافعي،الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر ،مطبعة مصطفى الحلبي وشركائه، مصر ،د.ت، ط١.
- شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة،مصر، ط١٩٩٦،٢م.
- شوقي ضيف، البلاغة تطور تاريخ،دار المعارف،القاهرة،ط٩.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي،دار الكتب المصرية ،القاهرة،مصر،١٩٢٢م،دط.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني،سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ت طارق بن عوض الله)، ،دار العاصمة ،الرياض،المملكة السعودية،٢٠٠١م،،ط١.

- عائشة حسين فريد، منهج البحث البلاغي،دار قباء ، القاهرة،مصر، ط١٩٩٧،١م.
- عبدالله المعتز،البديع،تإغناطيوس كراتشقوفسكي،دار المسيرة ،بيروت،لبنان،١٩٨٢ م،ط٣.
- عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،ت عبد الله محمد الدرويش،دار البلخي ،دمشق،سوريا،٢٠٠٤م،ط١.
- عبد الرحمن الميدانى ،البلاغة العربية،أسسها وعلومها وفنوا، دار القلم، دمشق، سوريا،١٩٩٦م،ط١.
- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي،دارنهضة،القاهرة ، مصر ،دت،دط.
- عبد القادر حسين، فن البديع،دار الشروق،بيروت،لبنان، ١٩٨٣م،ط١.
- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، ت محمود محمد شاكر،دار المدنى ،جدة، المملكة العربية السعودية.
- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ت محمد ورضوان الداية ،دار الفكر، دمشق، سوريا٢٠٠٧م،ط١.
- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني،دار المعرفة،بيروت،١٩٧٨م.
- عبده عبد العزيز قلقيلة،البلاغة الاصطلاحية،دار الفكر العربي،مصر،ط٣-١٩٩٣م.
- عرفات مطرجي،الجامع لفنون اللغة العربية والعروض،الطبعة الأولى،مؤسسة الكتب الثقافية بيروت،١٤٠١.
- علي الجمبلاطي-أبو الفتوح التونسي-الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية- الطبعة الثانية.د.ت.ط- دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة – القاهرة-.
- عمار سام،اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية،بيروت، مؤسسة الرسالة٢٠٠٢م.
- ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،ت عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة والنشر.
- فهد خليل زايد،البلاغة بين البيان والبديع،داريافا العلمية،عمان ،الأردن،٢٠٠٩م،،ط١.
- فوزي عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية،دار الثقافة، القاهرة ،مصر، دط،١٩٨٣م.
- قدامةبنجعفر،نقد الشعر،ت عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،دت ،د ط.
- لقرطبي،أبوعبد الله محمدالقرطبي،ت التركي وعرقسوسي،الجامع لأحكام القرآن.مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،٢٠٠٦م،ط١.
- محمد أبو موسى،خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علمالمعاني،مكتبة وهبة القاهرة،مصر،١٩٩٦م،ط٤.
- محمد نايل أحمد،البلاغة بين عهدين،دار الفكر العربى،، القاهرة،مصر، ١٩٩٤م ،د ط.
- محمد هدارة،في البلاغة العربية(علم البيان)،دار العلوم،بيروت،لبنان،١٩٨٩م،،ط١.
- محمود بن محمد الحداد أبو عبد الله،تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي، ،دار العاصمة،الرياض ،السعودية،١٩٨٧ م،ط١.
- مصلوح،سعد عبد العزيز،في البلاغة واللسانيات العربية،لجنة التأليف والنشر بجامعة الكويت،الكويت،٢٠٠٣م،ط١.

- ابن منظور،لسان العرب،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،٢٠٠٥م.
- نورة بن سعدالله،البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي(مذكرة ماجستير)،جامعة الحاج لخضر،باتنة،الجزائر،٢٠٠٨م.
- أبو هلال العسكري،الصناعتين،ت محمد البجاوي ومحمد إبراهيم ،دار إحياء الكتب،١٩٥٢م،ط.
- وليد محمد عبد الباقي،صعوبات تدريس القواعد للناطقين بلغات أخرى.بحث منشور.
- يحيى بن حمزة العلوي،الطراز،ت عبد الحميد هنداوي،المكتبة العصرية، بيروت،لبنان،٢٠٠٢م،ط١.